

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور
- خنشلة -



كلية : الآداب واللغات
قسم : اللغة والأدب العربي
تخصص : آداب أجنبية وأدب مقارن

غابريال غارسييا ماركيز " الحب في زمن الكوليرا "

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال
مقاييس شهادة الماستر.

إشراف الأستاذة:

* سمية فائق

إعداد الطالبة

* سمية تومي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عالمة خذري	أستاذ مساعد -أ-	جامعة عباس لغرور	رئيسا
سمية فائق	أستاذ مساعد -أ-	جامعة عباس لغرور	مشرفا ومقررا
إيمان بوزيان	أستاذ مساعد -أ-	جامعة عباس لغرور	مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ

وَاِزْرَةً ۖ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١٥) الإسراء: ١٥

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ

وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦) البقرة: ٢٨٦

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ "

شكر و عرفان

شكر و عرفان:

"اللهم لا علم إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم"

أحمد الله حمدا طيبا مباركا فيه إلى يوم الدين

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لا يسعني إلا أن أقدم شكري الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة "سمية فالح" على قبولها الإشراف

على بحث تخرجي، وعلى كل ما أحاطتني به من توجيهات وتحفيزات قيمة لإتمام هذا

البحث

كما أتقدم بشكري الجزيل أيضا إلى أستاذتي الكرام بجامعة عباس لغرور على كل ما قدموه

لي من نصائح وإرشادات لإنجاز هذا البحث وعلى رأسهم:

الدكتور: يوسف الأطرش

الأستاذة: بوغقال نورة

الأستاذة: عون سعاد

كما أشكر كل من ساندني وأعانني في تحضير البحث من قريب أو من بعيد

فبارك الله في الجميع وجزاكم الله خيرا.

سمية

مقدمة

يعتبر الأدب فنا جميلا، يتخذ من اللغة أداة ليتبدى في صورة نصوص أدبية، تشكل أنظمة دلالية متماسكة، وتأخذ أدبيتها من الوظيفة الجمالية التي تسود سائر الوظائف الأخرى، والأديب يصبو من وراء إنتاجه الأدبي إلى المشاركة بالفكر والعاطفة، في القضايا الأخلاقية والاجتماعية والوطنية والسياسية، فهو لا ينفك من مسؤولية المشاركة في حركة المجتمع بتشعب معانيه.

كذلك حال الأدب في أمريكا اللاتينية، والذي تميز بلمسة خاصة جمعت بين الواقع الملموس وعلم الأوهام والتخيلات، فأثرت النصوص بكل ما هو غامض وسحري وعجيب، وهو ما أدى إلا ظهور توجه جديد يعرف بالواقعية السحرية، والذي انتشر بصورة كبيرة في القارة.

وقد ظهر هذا التوجه في الأعمال النثرية والروائية بشكل خاص، لأنها أكثر مرونة وقابلية للانفتاح على التجريب، وفي هذا المجال برز روائيون كثرون، ولعل أبرزهم الكولومبي "غابريال غارسيا ماركيز"، صاحب رواية "مئة عام من العزلة" و"الحب في زمن الكوليرا".

ولأن الرواية الأولى نالت قشطا كبيرا من الدراسة والاهتمام عكس الرواية الأخرى، ارتأيت أن أجعلها موضوع بحثي هذا الموسوم بـ: "غابريال غارسيا ماركيز، "الحب في زمن الكوليرا"، إضافة إلى تحفيز الأستاذة المشرفة لاختيار هذا الموضوع، وهو ما كان دافعا لاكتشاف هذا الكاتب العالمي الذي يمثل تاريخ أمريكا اللاتينية وما مرت به عبر التاريخ .

وقد حاولت في هذا البحث الإجابة على جملة من التساؤلات وأهمها:

ما مفهوم هذا التوجه الجديد؟ وأين وجدت منابعه الأولى، ومن هم أبرز رواده؟ وما هي أهم خصائصه؟ وإذا كنا قد أشرنا بأن ماركيز هو أهم رواد هذا التوجه، فمن هو هذا الكاتب؟ ومتى نشأ؟ ومتى بدأ مشواره؟ وإذا كانت الواقعية السحرية هي المزج بين الواقع والسحر فالى أي مدى وفق ماركيز في فعل ذلك؟.

كل هذه أسئلة سنحاول الإجابة عنها بنوع من التفصيل في بحثنا هذا إلى جانب الحديث عن تاريخ القارة وما يخصها من النواحي الاقتصادية والسياسية وحتى الأدبية التي تفسر جنوح ماركيز إلى هذا النوع من الكتابة.

وللإجابة على كل هذه الأسئلة اهتمت إلى تقسيمه إلى فصلين سبقهما مدخل، والذي هو بمثابة تمهيد تناولت فيه ثلاث عناصر أساسية، أما العنصر الأول البيئة الجغرافية لأمريكا اللاتينية وموقعها الجغرافي، فيما خصصت العنصر الثاني للحديث عن البيئة التاريخية و السياسية والاقتصادية للقارة، أما العنصر الثالث خصصته بالحديث، عن البيئة الأدبية للقارة وأبرز أعلامها وأهم التوجهات السائدة، فيها بما في ذلك تيار الواقعية السحرية الذي كان له الحظ الأوفر بالدراسة لما له من صلة وثيقة بموضوع بحثي

فيما خصصت الفصل الأول المعنون بـ "غابريال غارسيا ماركيز" بالحديث عن حياة ماركيز بدء بمولده، ونشأته، وعلاقته بعائلته، وأهم الروافد التي كان لها الدور في ظهوره ككاتب روائي وقصاص، مروراً بدوره في تطور الأدب في القارة، وأهم أعماله الأدبية وجوائزها إلى جانب قيمته وشهرته، ويليه الفصل الثاني والأخير من البحث بعنوان "رواية الحب في زمن الكوليرا" لدراسة أهم أعماله الروائية وهي رواية "الحب في زمن الكوليرا" والتي حاولت دراستها من الناحية الشكلية مروراً إلى مضمون الرواية والأحداث فيها و بنائها الفني، وبعد كل هذا أنهيت البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وكأي دراسة، وجب علي خلال دراستي للموضوع إتباع منهج معين، ولكن نظراً لتعدد جوانب الموضوع تحتم علي الاعتماد على مناهج متعددة، تقوم على المعاشية بين أطر منهجية مختلفة، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي في بعض المحطات خاصة فيما يتعلق بتاريخ قارة أمريكا اللاتينية أو نشأة الواقعية السحرية، أو ما يتعلق بحياة ماركيز ونشأته، كما اتبعت على المنهج التحليلي والذي أعان علي بيان مدى توفيق ماركيز في مزجه بين عناصر الواقعية السحرية من واقع طبيعي ملموس وسحر وأسطورة وخرافة، أو ما يتعلق بالاقتراب من الرواية من حيث هي نص سردي، كان يقتضي مواجهة علمية يتسلح بمنجزات الدراسات السردية الحديثة.

خلال تقديمي لهذا البحث مشكلات عديدة، وأول هذه المشكلات أنني لم أكن أتوقع أن أعمال ماركيز لها من السعة والمواقف والمضامين والأشكال الفنية الشيء الكثير، وهو ما حتم علي خلال هذه الدراسة أن أحذف الكثير منها، وأن أشير إلى بعضها إشارات بسيطة، واكتفيت بدراسة نموذج روائي واحد مقتنعة بأنه سيعطي فكرة عامة لخصائص الكتابة الروائية عنده، إضافة إلى صعوبات أخرى متمثلة في نقص المراجع والدراسات خاصة المتعلقة منها "برواية الحب في زمن الكوليرا"، أما فيما يتعلق بتاريخ أمريكا فقد وجدت

صعوبة تتمثل في تشعب المعلومات مع قلة المصادر حول ذلك، فقضية التسمية لوحدها تحتاج إلى فيض من الدراسات، بل وحتى ما يتعلق بنشأة هذا التوجه الجديد "الواقعية السحرية"، الذي يحتاج هو الآخر إلى الكثير من الأبحاث التي تهتم بجذوره القديمة، ونشأته الحديثة وازدهاره وأسباب انتشاره في هذه القارة مقارنة بغيرها من القارات.

ولكن، لكي لا نكون جاحدين وندعي السبق إلى هذه الدراسة، نذكر بأننا اعتمدنا للوصول إلى إجابات على التساؤلات المطروحة في البداية على جملة من الدراسات الأكاديمية والنقدية الحرة والتي كان أبرزها:

1/ ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية لأوخينيو تشانج رودريجت ترجمة لـ عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد.

2/ غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية لبيلينيو ميدوثا ترجمة لـ عبد الله حمادي.
أما العربية منها:

1/ دراسات في الواقعية السحرية لحامد أبو أحمد.

2/ ملامح من أدب أمريكا اللاتينية لبدر عبد الملك.

أما الدراسات الأكاديمية فقد كان أهمها:

1- الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي من جامعة عباس لغرور، خنشلة للطالبة مهيبة بلفضل.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بكل شكري واعتزازي إلى أستاذتي الفاضلة "سمية فالق"، التي هدتني بتوجيهاتها ونصائحها إلى الطريق القويم، كما أخصها بالثناء والتقدير على قبولها الإشراف على بحث تخرجي وعلى وقتها الذي منحتني منه الكثير لقراءة البحث وتصحيحه وترتيبه كما أقدم شكري الجزيل إلى أستاذتي بجامعة عباس لغرور، وأبرزهم الدكتور يوسف الأطرش والدكتور رشيد بلعيفة وكذلك الأستاذة بوغقال، على كل ما قدموه لي من نصائح وإرشادات في المسار الدراسي.

فشكرا لكم، وما عساي إلا أن أقدم لكم سوى شكري الجزيل والله ولي التوفيق.

المدخل

بيئة أمريكا اللاتينية

أولاً: البيئة الجغرافية لأمريكا اللاتينية.

ثانياً: البيئة التاريخية والسياسية لأمريكا اللاتينية والسياسية.

ثالثاً: البيئة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية.

رابعاً : البيئة الأدبية لأمريكا اللاتينية.

أولاً: البيئة الجغرافية لأمريكا اللاتينية

لعبت الطبيعة في أمريكا اللاتينية بغاباتها وسلاسل جبالها، وسهولها وصحاريها ومياهها دوراً هاماً في تطور القارة من جميع النواحي، سواء الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية أيضاً، ولعل أول وأهم ما سنقف عنده هو :

1-الموقع الجغرافي:

تحتل قارة أمريكا اللاتينية مساحة كبيرة حيث أنها «تحتوي تقريباً على ثلثي نصف الكرة الغربي ، حيث تبدأ بالنهر الكبير (roi bravo) وتمتد إلى القطب الجنوبي»¹ ، مما يعني أن هذه القارة تعتبر إقليماً مهيناً بكامله باعتبارها تحتل مساحة شاسعة .

وتقع هذه القارة غرب الكرة الأرضية وبالتحديد في الجنوب الغربي لأمريكا الشمالية، بينما تقع كل دول أمريكا اللاتينية « بين مدار السرطان ومدار الجدي ...، وهذه المنطقة الاستوائية تشكل أهمية كبيرة في حياة الكثير من دول القارة، ولذلك نجد أن أحد دولها يحمل رمزياً اسم "ECUADOR" الإكوادور والذي يعني خط الاستواء »².

فهذه المنطقة الاستوائية كان لها الدور الفعال في حياة دول أمريكا اللاتينية، لأنه من خلالها أصبحت تعرف بقطاعها الزراعي، الذي يشهد تطوراً هائلاً إلى جانب شهرتها بجبالها وسهولها وغاباتها .

«وتشمل أمريكا اللاتينية الجزء الذي يقع جنوب الجزء القاري من الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تضم كلا من قارة أمريكا الجنوبية التي تقع بين المحيطين الأطلسي والهادي، والقسم الجنوبي من قارة أمريكا الوسطى، وجزءاً من أمريكا الشمالية ومجموعات من الجزر في البحر الكاريبي »³.

¹ - أوكينيو تشانج رودريجت، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة: عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد. المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط. 1998 م. ص 38

² - المرجع نفسه، ص 39.

³ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابرييل غارسيا ماركيز، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي تخصص آداب أجنبية وأدب مقارن، إشراف: يوسف الأطرش، جامعة عباس لغرور، خنشلة، 2014/2013، ص: 06

ومن هذا نكتشف بأن هذه القارة تحتل إقليمًا ومساحة شاسعة، وبالتأكيد أن هذه الشساعة تعتبر من العناصر المفيدة من حيث التنوع المناخي.

وتواجه القارة الأمريكية اللاتينية شرقًا قارة إفريقيا «التي تبعد عنها بـ 1550 ميلًا تقريبًا»¹، أي ما يعادل 2494 كم هذا فيما يخص مساحة القارة، وتنقسم القارة إلى العديد من الدول، فهي تشمل إحدى وعشرين دولة ذات مساحات متفاوتة وهي :

«الأرجنتين، بوليفيا، البرازيل، كولومبيا، كوستريكا، كوبا، جواتيمالا، هايتي، هندوراس، السلفادور، أوروغواي، المكسيك، نيكاراغوا، بنما، الباراجواي، بورتوريكو، فنزويلا، سورينام»² وإن هذا العدد حسب ما أقره المؤرخون بأنه كان قبل سنة 1960، لكن «بعد هذا العام نشأت خمس دول أخرى تغلب عليها اللغة الإنجليزية، وهي: جامايكا، باربادوس، ترينيداد، توباغو، جويانا»³.

وكما سلف الذكر، أن دول أمريكا اللاتينية ذات مساحات متفاوتة، بدليل أن البرازيل يحتل المرتبة الخامسة عالميًا من حيث المساحة، وفي الوقت الذي يحتل البرازيل كل هذه المساحة نجد أن دولًا أخرى من القارة مقارنة بهذا البلد يساوي قرية منه، كدولة بنما، هايتي، وسلفادور وغيرها.

ثانياً: البيئة التاريخية والسياسية لأمريكا اللاتينية:

إن لتاريخ القارة الأمريكية بشكل عام، واللاتينية بشكل خاص أهمية خاصة في العالم، سواء بالنسبة للقارة نفسها أو الشرق الأوسط، وحتى الشرق الأقصى، وسأتناول بالحديث في هذا الجزء تاريخ أمريكا اللاتينية ابتداءً من الكشوفات الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، وصولاً إلى القرن العشرين، كما سأشير إلى الظروف التي أدت إلى انتشار المستعمرات الأوروبية، خاصة المستعمرات الإسبانية والبرتغالية وحتى الفرنسية حتى أنهت بالاستقلال، إلى جانب الحديث عن الحروب الأهلية المتتالية، والتي أرهقت العديد من

¹ - أوخينيو تشانج رودريجيث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية ص 38

² - داود سلوم، الشخصيات العربية في روايات أمريكا اللاتينية. دار الجيل للطباعة و النشر، بيروت،

لبنان. ط. 1141.5/1995م. ص: 22

³ - المرجع نفسه ص: 22

البلدان، بعد ذلك الحديث عن التقدم والتطور وكذلك التوسع الذي عرفته القارة أواخر القرن التاسع عشر، إلى جانب الحديث عن الأزمات الاقتصادية الكبرى التي لطالما عانت منها إلى أن اجتازتها، ولكن قبل الحديث عن تاريخ أمريكا اللاتينية يستوجب الحديث عن تسمية "أمريكا اللاتينية" ودلالاتها .

1- ماهية ودلالات التسمية:

إن أول ما يتبادر إلى أذهاننا عند الحديث عن قارة " أمريكا اللاتينية " هي قضية التسمية، فهي ما تجعلنا نتساءل عن ماهية الاسم الحقيقي لهذا الوطن الكبير، والذي يشكل قارة والذي أطلق عليه الكثيرون اسم " أمريكا اللاتينية " الذي يظل على حد تعبير " سيزار فرنانديث مورينو " CESAR FERNANDEZ MORENO " تعبيراً غير دقيق بصورة واضحة. فما هو أصل تسمية أمريكا اللاتينية ؟، وفي المقام الأول لماذا نسميها اللاتينية؟، وهل هناك تسميات أخرى لهذه القارة ؟.

يجيب سيزار فرنانديث مورينو "في كتابه الموسوم بـ "أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات" بقوله: «لقد بدأت كلمة اللاتينية في الليسوم، وهو إقليم صغير مجاور لمدينة روما، وأخذت تنمو في دائرة متحدة المركز على طول التاريخ ضمت أولاً إيطاليا كلها، ثم اتسعت بعدها للجزء من أوروبا الذي استعمرته الإمبراطورية الرومانية، لتعود فتقتصر على البلدان والمناطق التي تتحدث بلغات مشتقة من اللاتينية، ثم تنتقل أخيراً إلى القارة الأمريكية التي كان أولئك الأوروبيون قد اكتشفوها واستعمروها»¹ .

أي أن التسمية جاءت من المستعمرات الأوروبية، ذات الثقافات اللاتينية، والتي تدفقت إليها واستوطنت أراضيها منذ أواخر القرن الخامس عشر، بما فيها إسبانيا، البرتغال، وفرنسا، وهذه التسمية حسب قول " سيزار فرنانديث مورينو " نجد أنها مرت بمراحل قبل أن تقترب بهذه القارة، فهي لم تكن تعرف بها من الوهلة الأولى .

¹ - سيزار فرنانديث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية، قضايا ومشكلات القسم الأول، ترجمة إحسان عبد الواحد. عالم المعرفة،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت د ط ، 1987 ص 13

وقد ظهر تعبير أمريكا اللاتينية أول مرة "في كتابات المؤرخين الفرنسيين في القرن التاسع عشر وشاع استخدامه إلى وقتنا الحالي"¹، ولهذا نجد أغلب الكتب تستخدم هذه التسمية وفي كل المجالات السياسية منها والاجتماعية والثقافية.

لكن المطلع على تاريخ هذه القارة، يجد أن تسمية أمريكا اللاتينية ليست التسمية الوحيدة التي تعرف بها القارة، ففي هذا الشأن نجد أن "أوخينييو تشانج رودريجت" في كتابه "ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية" يقر بأنه يقال عن الصنف الغربي للكرة الأرضية-ويقصد القارة الأمريكية- بأنها: «قارة الأخطاء»، لأن هذا العالم الجديد قد اكتشف خطأ وسمي خطأ ومازال يخطئ الكثيرون الذين يحاولون تفسير هذا العالم إلى يومنا هذا»².

فهذه القارة على حد قوله أنها لم تكن تعرف من قبل إلا أنها اكتشفت وكان ذلك دون تخطيط مسبق، وإلى جانب اكتشافها خطأ سميت أيضا خطأ، وفي هذا يفصل الكاتب قائلا: «...فقد أخطأ الأوروبيون الذين كانوا يبحثون عن طريق إلى قارة آسيا، وذلك حينما اعتقدوا بأنهم وصلوا للشرق الأقصى وأطلقوا على هذه الأراضي اسم "INDIAS"، ولكي يصححوا هذا الاسم الخطأ، أضافوا إليه بعد ذلك بفترة صفة "OCCIDENTAL" أي الغربي أو الغربية، والتي يمكن اعتبارها أيضا صفة خاطئة، وأصبح يقال عنها "INDIAS OCCIDENTALES" بصيغة الجمع لكي نميزها عن الهند الشرقية "INDIA OCCIDENTAL"، والتي كتبت بصيغة المفرد والتي مازال يطلق على سكانها اليوم اسم الهنود»³.

مما يعني أنه قبل مرور تسمية أمريكا اللاتينية بمراحل مرت قبلها القارة بتسميات متعددة منذ اكتشافها .

أما عن اسم أمريكا، فقد قام مكتشف القارة وهو "كريستوفر كولومبس" «بأن أطلق على الأراضي التي زارها -خطأ- أيضا اسم "AMERICA" تكريما للبحار الايطالي "AMERICO-VESPOCIA"، والذي يعد واحدا من أوائل أولئك الذين حددوا معالم هذه الأراضي كجزء لا يتجزأ من العالم الجديد»⁴، كما يضيف بأن «المؤرخين المتخصصين في تاريخ أمريكا قد

¹ - أوخينييو تشانج رودريجت، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية ص 20

² - المرجع نفسه ص 16

³ - المرجع نفسه ص 16

⁴ - المرجع السابق ص 16

أخطأوا أيضا على الصعيد العالمي على أنها فقط جزء من القارة وكانت أمريكا أساسا خلال القرنين السادس عشر حتى القرن الماضي (التاسع عشر) «¹.

بمعنى أن اسم أمريكا والذي تعرف به القارة إلى يومنا هذا، يشوبه الغموض لأنه في وقت مضى كان الاسم يقصد به جزء فقط منها، وهو ذلك الذي وطأته أقدام المستعمرات الإسبانية والبرتغالية خلال القرن السادس عشر والتاسع عشر، ويضيف معللا سبب الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون بقوله: «لأنه حينما تقال كلمة "AMERICA" (أمريكا) في شبه الجزيرة الأيبيرية كان يقصد بها في الواقع الأراضي الإسبانية الواقعة في نصف الكرة الغربي، وفي عصرنا الحالي نجد أن الكلمة تعرف بها على المستوى العالمي " الولايات المتحدة الأمريكية"، هكذا نجد أنفسنا مستمرين في الخطأ «².

إن ما نفهمه من خلال كل هذا أن القارة اكتشفت خطأ، وسميت خطأ، وتبقى رهينة هذا الخطأ إلى الأبد، لأنه إذا كان اكتشاف هذه القارة كان خطأ فهذا يؤكد على وجود أخطاء غيرها في القارة، ثم إن هذه التسمية ليست الوحيدة التي أطلقت على هذه القارة، حتى أننا نجد أن أحد المهتمين بهذا الموضوع يقول بأنه: «لو قمنا بالتدقيق الجيد لوجدنا العديد من الأسماء التي استخدمت باللغة الإسبانية للتعبير عن هذه المنطقة ومنها :

- أمريكا الإسبانية (AMERICO-HISPANO)

- أمريكا الأيبيرية (IBRO-AMERICA)

- أمريكا الهندية (INDO-AMERICA)

- أمريكا الجنوبية (SUD-AMERICA) «³

أي أن هذه القارة لم تعرف باسم واحد بل ولم تقتصر على تسميات كريستوفر كولومبس، فقط بل تعددت التسميات وكلما تعددت اختلفت، والأكد أن لكل هذه التسميات أهدافا، ولكن تبقى كل هذه التسميات حسب ما يقره هذا الباحث فيها العديد من الأخطاء، ويفصل الباحث في هذه التسميات قائلا: «بالنسبة لتسمية أمريكا الإسبانية فهو لا يأخذ بالحسبان الأغلبية

¹ - المرجع السابق ص: 16

² - المرجع نفسه ص: 17

³ - حسام جميل الناف، الإدارة الإسبانية في أمريكا اللاتينية (1492-1825م) المجلد 30 ، مجلة جامعة دمشق-سوريا،

العدد (2+1)، 2014، ص 644

الساحقة من الهنود، وهم السكان الأصليون في القارة، وكذلك الزنوج والأجناس الأخرى التي تكون اليوم شعوبا...¹، أي أن هذه التسمية تتحاز إلى الإسبان وتعطي الأولوية لهم.

ويقول أيضا فيما يخص لفظ أو تسمية "أمريكا الجنوبية" بأنه: «استخدم في الأرجنتين منذ انعقاد مؤتمر توكومان* "TUCUMAN" عام 1816م، وهذا اللفظ بما يعنيه من ضيق في المساحة لا يتفق مع المساحة الشاسعة للمنطقة»²، وهذه التسمية أيضا لم تسلم من الخطأ، كونها لا تنطبق في معناها مع المساحة الشاسعة التي تحتلها القارة.

أما عن مصطلح "أمريكا الهندية" «فقد دافع عنه بشكل أساسي أصحاب الأرض الأصليون -أو ما تبقى منهم-، حيث عد المدافعون عن أمريكا الهندية أن هذا اللفظ يدعو إلى التفاؤل...»³، بمعنى أن هؤلاء اختاروا هذه التسمية بهدف ضمان حقهم فيها، وقد ظنوا بأنهم إذا ما نسبوها إليهم ستكون لهم سلطة عليها، وما نلاحظه على هذه التسمية هو أنها اقتصررت على الهنود، رغم أنها تتضمن الهنود والإسبان والبرتغاليين والزنوج الملونين، كما تتضمن كل الجماعات العرقية التي أتت من أوروبا وإفريقيا وبعض دول الشرق كفلسطين، سوريا ولبنان.

يصل بنا القول: أن تسميات القارة اختلفت بقدر اختلاف الأجناس البشرية التي تعيش فيها، وقد كانت كلها على درجة ضئيلة من الصحة، فقد كان كل جنس يعيش على أراضيها يسميها كما أراد، وبالطريقة التي يشاء بهدف نسبها إليه، وذلك ما نجده في تسمية أمريكا الإسبانية، وأمريكا الهندية وغيرها...، إلى جانب تسمية "أمريكا اللاتينية" التي ما زالت تطرح أسئلة عديدة بل وبقي اسم القارة يعتريه اللبس والغموض.

¹ - المرجع السابق ص 644.

*- مؤتمر توكومان : عقد هذا المؤتمر في العاصمة الأرجنتينية "بوينس" في آيرس عام 1816 وكان الهدف الأساسي من انعقاده إيجاد صيغة مشتركة للقارة الأمريكية المستقلة، وظهرت خلاله خلافات في تسمية القارة ومن أهم الأسماء التي ظهرت في هذا المؤتمر هو اسم أمريكا الجنوبية.

² - المرجع نفسه ص 644.

³ - المرجع نفسه ص 645.

2- تاريخ أمريكا اللاتينية :

إن أول ما نبدأ به عند الحديث عن تاريخ أمريكا اللاتينية، هي الكشوفات الجغرافية لهذه القارة، ولكن قبل الحديث عن اكتشاف كريستوف كولومبس للقارة يجب الحديث عن هيغل، والذي قال في إحدى محاضراته: «أمريكا إذن؟ هي أرض المستقبل وسوف يتكشف في العصور القادمة شأنها التاريخي، وربما كان ذلك على شكل نزاع بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، إنها بلاد الأحلام لكل أولئك الذين ملوا وضجروا من المتحف التاريخي في أوروبا القديمة...»¹.

إن ما نفهمه من هذا القول بأن هيغل قد قام بنبوءته عن أمريكا، وحسب ما أقره المؤرخون أن ذلك كان قبل مرور قرن ونصف قرن من اكتشافها، ويقول في هذا الشأن "سيزار فرنانديث مورينو": «أنه ما كان مستقبلا بالنسبة إليه، أصبح الآن حاضرا بالنسبة لأمريكا، والقارة التي كانت بالنسبة إليه طبيعة أصبحت تاريخا»².

كما يضيف ليقول بأن هيغل كان «قد تحدث عن أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية»³، وأمريكا الشمالية تقوم أقوم دولة في العالم اليوم، وأمريكا الجنوبية التي تعرف باسم "أمريكا اللاتينية" والتي تمثل إحدى الأفكار الدينامية في العالم المعاصر .

أما عن كريستوف كولومبس، فقد «استطاع هذا الملاح الجنوبي أن يضع اللبنة الأولى في الكشف عن أمريكا اللاتينية عام 1492، عندما اعتقد أنه وصل جزر الهند الشرقية لرؤيته مجموعة من السكان الأصليين (الهنود الحمر) * »⁴، مستكشفا بذلك القارة الأمريكية، فعاد عام 1493 م إلى إسبانيا يحمل معه البطاطا والتبغ والذرة والقطن، وكميات صغيرة من الذهب والفضة »⁵.

¹ - سيزار فرنانديث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية ص 13

² - المرجع نفسه ص 13

³ - المرجع نفسه ص ص 13-14

* - الهنود الحمر: إن سبب تسميتهم بهذا الاسم أنهم كانوا إذا نفروا للحرب صبغوا وجوههم بصبغة حمراء قاتمة، أو لبسوا أقنعة مصنوعة بهذا اللون ولذلك ظن كل من رآهم أن بشرتهم حمراء.

⁴ - إياد الهاشمي، تاريخ أوروبا الحديث. دار الفكر ناشرون وموزعون ، عمان 2010 ص 33

⁵ - عوني عبد الرحمن السباعوي، التاريخ الأمريكي الحديث (نسخة إلكترونية) ص ص 37-38

معنى هذا أن مستكشف القارة "كولومبس" هو من كان سببا في معرفة هذا العالم الجديد، وقد كانت رحلته الاستكشافية هذه هي التي مهدت الطريق، وأعطت دافعا للغزاة الأوروبيين، الذين اندفعوا بسرعة في أرجاء الأرض الجديدة لاكتشاف معالمها الداخلية والخارجية، وهو ما يسهل استعمارها واستثمار خيراتها، وبمجرد أن وضعوا أقدامهم في وسط جنوب القارة الجديدة حتى استولوا عليها، مستغلين بذلك السكان المحليين بصورة قاسية بشعة، أدى في كثير من الأحيان إلى إبادة منهم من أجل جمع أكبر قدر من الذهب، وبقيت القارة محل أطماع الشعوب التي تطلعت إليها واستغلوا كل ما فيها .

إن هذا الغزو على أمريكا اللاتينية بدأ «بفرض الغزاة الأسبان لغتهم القشتالية، بينما فرض البرتغاليون لغتهم على البرازيل، و تلتها لغات المهاجرين والعبيد واللغات الهندية للسكان الأصليين»¹، بمعنى أن الغزاة الاستعماريين وبما أنهم جاءوا بهدف الاستيلاء على هذه القارة وفرض السيطرة عليها، وما كان بيدهم إلا أن يستولوا على اللغة في القارة، لكونها تراثا وثقافة خاصة بسكان القارة، ولهذا فرضوا لغتهم لكي يسهل عليهم الانتشار والتوسع.

ومن أجل تمكنهم من التواصل مع السكان باعتبار أن اللغة هي أهم وسيلة للاتصال، وإلى جانب محاولاتهم نشر لغاتهم نجد «مراكب الغزو الاستعمارية التي حملت جماعات التبشير الديني، ونصوص المسرح والشعر والرواية لنشر الدين المسيحي واللغة والثقافة اللاتينية والبرتغالية بين شعوب القارة المغزوة»².

بمعنى أنهم حاولوا السيطرة على السكان الأمريكيين اللاتينيين من خلال نشر اللغات اللاتينية والديانة المسيحية، ولم يقتصر ذلك على نشر اللغة والدين فقط وإنما تعدى إلى نشر الأعمال الأدبية من كل الأجناس شعرا ونثرا (رواية، قصة، مسرحية).

إن هذا الأمر قد يفهم للوهلة الأولى على أنه سلبي للغاية، ولكنه وبالرغم من سلبيته كونه استعمارا وسيطرة، لكن فيه من الإيجابية قدرا كبيرا كونه ساعد الثقافة اللاتينية، واللغة والدين على الانتشار والنهوض بالبلاد وتطويرها .

¹ - ميلود العطري ، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه أمريكا اللاتينية في فترة ما بعد الحرب الباردة تحت إشراف: رسالة

مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ،جامعة الحاج لخضر، باتنة 2007-2008 ص ص 21-7

² - عوني عبد الرحمن السباعي، التاريخ الأمريكي المعاصر ص 23

«ومع بداية القرن التاسع عشر وبالتحديد عام 1808 م شهدت أمريكا اللاتينية تحولا، فتشكلت مجالس عسكرية تدعو إلى الاستقلال، فاندلع قتالا سريعا بين المجالس العسكرية والسلطات الاستعمارية الاسبانية، مع انتصارات أولية لدعاة الاستقلال، وفي عام 1825 حصلت جميع مناطق أمريكا على استقلالها من اسبانيا»¹، وإلى جانب الكيان الاستعماري الاسباني في أمريكا اللاتينية فقد عرفت هذه القارة أيضا بأنها «قارة الثورات والديكتاتوريات الوحشية كالديكتاتور أدولف هتلر "ADOLF-HITLER" وغيره، فإنها لم تكن جميعا أسوأ من العديد من أنظمة الحكم التي سادت أوروبا نفسها في الماضي والحاضر»².

مما يعني أن البيئة التاريخية والسياسة لأمريكا اللاتينية هي بيئة مشوهة، فهي بيئة دكتاتوريات وحروب، نتيجة لتناوب الأحزاب على الحكم والتنافس بينها، وعدم الاستقرار السياسي مما أدى إلى فساد القارة وتدهورها.

3- تاريخ كولومبيا :

إن المتناول لتاريخ دولة كولومبيا بشكل خاص، يجد أن هذه الدولة قد «حصلت على استقلالها من اسبانيا عام 1810 م، وقد كان العداء والكراهية يسودان العلاقة بين الاسبان والهنود الحمر بالبلاد، فالإسبان مزقوا الأراضي في بحثهم عن الذهب...»³ ، أي أن اسبانيا كانت تحاول استنزاف ثروات البلد بطرق بشعة جعلت الشعب يحقدون على هذا الاستعمار الغاشم الظالم.

وقد تم استقلال كولومبيا «عندما عزل نابليون الفرنسي الملك الاسباني، فنعمت البلاد بفترة قصيرة ببعض الحرية، إلى أن غزاها مرة ثانية الجنرال موريللو "MORILLO" عام 1820م، وأصبح رئيسا لها بخوضه حملات هي الأكثر دموية في تاريخ المنطقة»⁴ ، وهذا معناه أن عام 1810 م الذي أعلنت فيه الدولة استقلالها لم يكن تاريخ الاستقلال التام،

¹ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" ص 08

² - ج.هاكر فرجسون، ثورات أمريكا اللاتينية، ت. عبد الرؤوف عز الدين، مراجعة فتح الله الخطيب. الدار المصرية

للتأليف والترجمة (نسخة الكترونية) ص 3-4

³ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" ، ص 08

⁴ - المرجع نفسه ص 08

والفعلي لها بل قامت حروبا كانت أكثر بشاعة مما قام به الاستعمار الاسباني من محاولات لاستنزاف ثرواتها.

«غير أن سيمون بوليفار "SIMON-BOULIVAR" (1783) الذي لم يكن مجرد قائد ثورة، كتب النصر على يده بعد كفاح دام خمسة عشر عاما، وأنهى الحكم الاستعماري الاسباني إلى غير رجعة، فأعاد تحرير البلاد وأصبح رئيسا لها»¹.

مما يعني أن بعد استقلال كولومبيا من اسبانيا، عم السلام الداخلي وتنفس الجميع الصعداء وتحررت البلاد من أيادي العدو، لكن لبعض الوقت فقط، لأن البلاد لم تسلم من الاستعمار بعد فقد غزوها مرة ثانية حتى مجيء الفنزويلي " سيمون بوليفار " وحررها نهائيا وترأس البلاد «وقد شهدت البلاد عام 1849 م تكوين حزبين سياسيين وهما: حزب الأحرار وحزب المحافظين، واللذين لا يزالان قائمين حتى هذا التاريخ، فهذان الحزبان يمثلان أسلوبين مختلفين تمام فكريا وطبقيا، وكلاهما حاولا أن يكون حزبا قمعيا مرتشيا»²، مما يعني أن كولومبيا ورغم تخلصها من عبء الاستعمار الغاشم إلا أنها لم تعرف السلم ولم تتذوق طعم الاستقرار أبدا .

وقد دمرت الحروب الأهلية كولومبيا «ووصلت الى ذروتها في عام 1899 م عندما بدأت حرب الألف يوم، وقد انتهى هذا الصراع بهزيمة الأحرار بعد أن خلف ما يزيد عن مائة ألف قتيل غالبيتهم من الفلاحين البسطاء وأبنائهم»³، وهذا ما يؤكد أن كولومبيا لم تحظ بالهدوء والاستقرار إلا فترات محددة، ففي البداية عانت من هيمنة المستعمر الاسباني .

كما خاضت كولومبيا عدة حروب أهلية بين الأحزاب السياسية المتعددة والتي تمثل إيديولوجيات وفلسفات سياسية، وجماعات ذات مصالح خاصة، فقد خاضت في البداية حروب الاستقلال وحرب الألف يوم وفيما بعد مجزرة مزارع الموز عام 1928 م، حين «قام ما يزيد عن اثنان وثلاثين ألف عامل للإضراب، مطالبين بأوضاع عمل صحيحة، وعلاج طبي، ودفعات نقدية بدلا من صكوك الشركة التي لا يمكن صرفها، وكان رد فعل الأمريكيين هو تجاهل مطالبهم وبعد بداية الإضراب بفترة قصيرة احتلت الحكومة الكولومبية

¹ - عادل الجوجري، هوجو تشافيز أسد فنزिला ومرعب أمريكا . دار الكتاب العربي ، دمشق -القاهرة ط1 2008 ص 33

² - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية " مائة عام من العزلة " لغابرييل غارسيا ماركيز، ص80

³ - المرجع نفسه ص 10

منطقة مزارع الموز، وأرسلت قواتها لإطلاق النار على العمال العزل، وبذلك قتلت المئات منهم، وخلال الشهور القليلة التي تلت، أنكرت الواقعة برمتها بشكل رسمي ومسحت من كتب التاريخ تماما «¹، لكن رغم إنكار الحكومة لهذا إلا أننا نجد كل هذه التفاصيل في رواية غابريال غارسيا ماركيز "مئة عام من العزلة"

ثالثا: البيئة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية

تعاني القارة الأمريكية اللاتينية من تداخل العصور فكل شيء يحدث فيها: القدم والحداثة، فالقرى مازالت تعيش فترة تشبه العصر الإقطاعي، في الوقت الذي تشهد فيه المدن أو بعض المناطق ثورة صناعية متقدمة وفي هذا يقول "أوكتافيو باث": «إن أكثر بلدان أمريكا اللاتينية تقدما تعيش وقت الحداثة المتناقضة، حيث يتعايش الحمار والطائرة، والأميون وشعراء الطليعة، والأكواخ ومصانع الصلب، وكل هذه التناقضات تقضي إلى تناقض خطير، وهو أن المؤسسات في كثير من هذه البلدان تعيش في ظل الديمقراطية لكن الواقع الفعلي المستثري في كل مكان هو الديكتاتورية»².

مما يعني أن البلدان في هذه القارة تعرف تباينا من حيث أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، فمنها من يعيش بدولار واحد في اليوم، ومنها من يسير في طريق الالتحاق بركب البلدان الشمالية المتقدمة، فهي تعيش في ظل التفاوت الملحوظ في الثروة وكذلك الظروف المعيشية المتباينة، بل وحتى الحاجيات الحياتية كالغذاء والسكن والتعليم.

وإن هذا التناقض يتمثل في كون وجود دول من القارة تعاني تخلفا في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، كما تعاني من أعباء الديون الثقيلة في الوقت الذي تشهد فيه دول أخرى تطورا هائلا في مختلف المجالات، ومن أبرزها البرازيل والتي تعتبر أول قوة اقتصادية في أمريكا الجنوبية يؤدي دورا إقليميا وعالميا .

وقد عرفت فترة «أواخر القرن التاسع عشر قطاعا زراعيا متقدما وصناعة تعدينية حديثة بلغت ذروتها بازدهار الصناعة خلال الأجيال القليلة الماضية، مع نمو صناعات الخدمات والأعمال المصرفية وغير ذلك من مظاهر الاقتصاد الحديث، هذا بالإضافة إلى رفع

¹ - المرجع السابق ص 10

² - حامد أبو أحمد ، دراسات في الواقعية السحرية (نسخة الكترونية) ص 68

مستواهم المعيشي فأخذ يتسع بسرعة تفوق سرعة اتساع الاقتصاد»¹، بالإضافة إلى توفر القارة الأمريكية اللاتينية «على المواد الخام واستثمارها في المناجم وفي الزراعة والصناعة والتجارة وتصديرها إلى الخارج، حققت من خلاله تغيرات اجتماعية واقتصادية هامة.

إلا أن استيرادها للمعدات ورؤوس الأموال أثقل كاهلها بتراكم الديون الضخمة عليها، حيث لا الصادرات التقليدية ولا عائدات الصناعة المستخدمة كانت كافية لتغطية هذه الديون»²، وبالتالي يؤدي ذلك إلى اضطرابات وحالات تأزم يعيشها الشعب في القارة من جراء هذا التردّي في الأوضاع .

«وقد أنزلت الأزمة الاقتصادية الكبرى لعام 1929 م ضربة قاسية بأمريكا اللاتينية بسبب تدفق رؤوس الأموال الأجنبية إليها، وأحدثت هبوطا كبيرا في أسعار المواد الأولية داخل الأسواق العالمية، فأصبحت هذه الدول مضطرة للالتكال على مواردها الخاصة والشروع ببرامج للتصنيع، وسببت تلك الأزمة معاناة كبيرة ما بين الطبقات الاجتماعية التي كانت تقتقر إلى قواعد أساسية تحتّمى وراءها»³.

ففي الوقت الذي كانت القارة تعاني من الأزمة الاقتصادية، راحت تبحث جاهدة لإيجاد حلول تساعد على تخطيها، وتجاوز بعض المعوقات لكن المشكل كان أكبر بكثير مما كان يتوقع، لأن ذلك كان يتطلب إمكانيات ضخمة خاصة ومع وجود أعباء الديون التي تثقل كاهلها، وفيما كانت دول القارة تبحث عن حل سريع لمشاكلهم وقضاياهم، «ظهرت حكومات اقترحت عليهم استثمارات صناعية معجلة، تحقق لهم الأمن وشروط عمل أفضل وتمنحهم أجورا مرتفعة ونقابة جديدة، ووظائف مستحدثة في الصناعات، ثم أخذت في الانخفاض بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، فتوجهوا نحو تشجيع الاستثمارات الأجنبية، فعرفت بعض النجاح من الدول التي شجعت على استبدالها وإرادتها، لكن هذا النجاح كان

¹ - روبرت، ج الكسندر، أمريكا اللاتينية اليوم ، ترجمة : رمزي يسي، مراجعة محمد محمود الصياد .مؤسسة سجل العرب القاهرة، مصر. دط، 1965 ص ص 17-18

² - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز ص 09

³ - بهيج حليس،العالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، موسوعة أحداث القرن العشرين. دار نوبلس للنشر والتوزيع.

بيروت، لبنان ط1، 2004 ص 191

رهنا بالبلاد النامية المستوردة لمنتجاتها الأساسية، ورهنا بالمعدات الصناعية والتكنولوجية ورؤوس الأموال»¹.

إضافة إلى هذه الحلول «اقترح تقرير البنك الدولي الذي صدر في فبراير عام 2006 م بعنوان "مفرغة"، ضرورة تحسين نوعية التعليم في مرحلتي الثانوي والجامعي وتعزيز الاستثمار في البنية الأساسية، والحفاظ على استقرار الاقتصاد الكلي، وتنفيذ سياسات اجتماعية فعالة»².

والجدير بالذكر هو أن المستعمرات في القارة كانت تحاول السيطرة على ثروات بلدانها واستنزافها، ولعل أهم ما يذكر في هذا الشأن هو أن دولة البرازيل والتي تعد قوة زراعية، حيث تمتد على ساحات مستثمرات زراعية واسعة وعصرية ويوجه إنتاجها إلى التصدير، كما تعرف بأنها تملك ثروة معدنية هائلة، فهي أول مصدر في العالم بالنسبة للمعاداة، وقد استطاعت في آخر المطاف بعد مدة طويلة، بناء دولة قوية وبناء إقليم خاص بها، ولكن هذا الإقليم على ضخامته وشساعته بقي لمدة تقرب ثلاثة قرون مستعمرة زراعية برتغالية، بحيث تسيطر عليها نخبة برتغالية.

وهذا ما أكده روبرت الكسندر بقوله: «إن أمريكا اللاتينية تعد محل أطماع الشعوب التي تطلعت إليها، للحصول على المواد الخام الزراعية والصناعية فاستغلت كلا من أوروبا وأمريكا الشمالية هذه المواد، وأنشأت وسائل النقل المسيرة لخدمة المناجم والمزارع، فسار النشاط التجاري بخطوات سريعة، وظهرت الأسواق الجديدة التي تضم عمال المناجم والتجار، ونشأت آلاف من المصانع الفنية الصغيرة، وكل هذه التأثيرات جعلت من أمريكا اللاتينية من الناحية الاقتصادية أكثر اعتمادا على العالم الخارجي أكثر من ذي قبل»³.

¹ - المرجع السابق ص ص 192 و 197-198

² - عادل الجوجري، هوجر شافيز أسد فنزويلا ومرعب أمريكا ص ص 49-50

³ - روبرت، ج الكسندر، أمريكا اللاتينية اليوم ص ص 17-18

رابعاً : البيئة الأدبية لأمريكا اللاتينية

1/أعلام القارة والتوجهات السائدة

مر الأدب في أمريكا اللاتينية بمراحل عديدة، وذلك ابتداء من فترة اكتشافها وصولاً إلى القرن العشرين، فما هي هذه المراحل؟ ومن هم أبرز أدبائها؟

«إن أدب أمريكا قبل أن يصل إليها الأوروبيون، لا يمكن تفسيره إلا بانتشار الحضارات الكبرى المايا، والأزتك، والأنكا، والحضارة الهندية، التي مثلت عظمة وتوهج في فنون البناء والنحت والنقش والصياغة والخزف والأدب والحساب والفلك والأساطير...، التي تأثر بها الأوروبيون عند وصولهم، وتفوق حضارة المايا في ميدان البناء والفخار وأعمال الذهب والفضة والنحاس وكتاباتهم الهيروغليفية»¹

مما يعني أن الأدب في أمريكا اللاتينية لم يظهر مع اكتشاف القارة إلا بعد مدة من الزمن، وقد اقتصر التطور الثقافي في مجال الفن أكثر منه في مجال الأدب.

«وقد تألف الأدب المبكر لفترة الاستعمار بشكل رئيسي من قصص وحوليات ورسائل تاريخية، تلك التي كتبها الجنود والمصورون الذين وصفوا ما شاهدوا من مناظر طبيعية جديدة وحضارات مدهشة، وأول من فعل ذلك " كريستوف كولومبس " نفسه في رسائله إلى الملك واليوميات التي كان يكتبها، فقد نشرت في " اشبيلية " عام (1522) بعنوان : "رسالة تعريف مرسلة إلى جلالة الملك " فيها تعريف بالأراضي والأقاليم التي اكتشفها حديثاً، ثم توالى رسائل الغزاة والمستكشفين إلى ملوك اسبانيا ومن أبرزهم "هرناندو كورتيز H.CORTIZ" القائد العام لاسبانيا الجديدة سلسلة من خمس تقارير، أرسلها إلى ملك اسبانيا "تشارلز الأول" والمعروفة " بالرسائل الخمس " (1519-1526) ، وهي عرض أخذ ومفصل لحملته»².

هذا يعني أن بؤادر الأدب في أمريكا اللاتينية بدأت مع المستكشفين الغزاة، الذين يكتبون رسائل يصفون فيها ما شاهدوه من مناظر طبيعية وحضارات عريقة أدهشتهم، وهذه

¹ - ب.راوين، الحضارات الهندية في أمريكا (الأزتك،المايا،الانكا)، ترجمة يوسف حلب الشام. دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر اللاذقية،سوريا ، دط ،ص ص 05، 06

² - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز ص 13

المخطوطات كانت بمثابة طعم لاستعمارها وترويجا لإبداعاتها وهذا ما يؤكد ما سبق وأن تحدثنا عنه فيما يخص نشر الاسبان للدين المسيحي واللغة الاسبانية، والذي قلنا بأنه رغم سلبيتهم وسلطتهم إلا أن هذا كان سببا في تطور وتقدم وانتشار الثقافة اللاتينية والنهوض بالبلاد وتطويرها .

أ- أعلام القارة:

اشتهرت القارة بمجموعة من الأعلام والكتاب إذ « يعد بنتو تاكسيرا بينتا " BENTO TEIXEIRA PINTA " أول شاعر في فترة الاستعمار يكتب بالبرتغالية في ملحمة " بروسوبويا " عام 1601 م، التي يعالج فيها موضوع الفرد والطبيعة في البيئة الأمريكية، وعدة كتب تناولت المعاملة الوحشية التي لقيها الهنود على أيدي الأوروبيين »¹.

وقد توالى إسهامات شخصيات أدبية كبيرة في جميع الفنون إلى جانب ما قام به هذا الشاعر "بنتو تاكسيرا"، ولعل أهم شخصية ظهرت في القرنين السادس عشر والسابع عشر هي : «الانكا جالاتيكا سودي لافيغا " I.G.SODE LAVEGA " (1539-1616م) من أهم أعماله : ترجمة محاورات في الحب الايطالي ليون ابريسو "LYON ABRISIO"، وكتاب قضية المتقدم لـ فرناندو دي سوتو "FERNANDO DESOTO" عام 1605 م، إلى جانب " تعليقات واقعية الذي نظره في جزئين عام (1616-1906م)، ويمثل تاريخ وملحمة وقصة في عمر الاستعمار»².

وقد ظهر نوع جديد من الأسلوب في النصف الثاني من القرن السابع عشر يسمى بالباروك* هذا الأخير الذي «يعادل " الغرابة المذهلة" عند " ليتريه LITTRE " أو غير المألوف والذوق الفاسد" عند "مارتينيثامادور MARTINEZ AMADOR"»³. وقد كان هذا النوع جديدا في أسلوب الكتابة الذي يعتبر تصورا فنيا نشأ عام 1610م واندثر عام 1660م،

¹ - حامد أبو أحمد، قراءات في أدب اسبانيا وأمريكا اللاتينية. الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر. د ط 1993 م ص

ص 171-172

² - المرجع نفسه ص ص 174-175

*- الباروك: بالاسبانية berrueco ، تعني اللؤلؤ الكبيرة غير المنتظمة، وما يمتلئ بالنتوءات

³ - سيزار فرنانديث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية ، قضايا ومشكلات ص ص 233-234

فهو يدعو إلى التغيير، بحيث يكون من دون قوانين ولا قواعد محددة كما يعطي أهمية للوهم ورغبة في الغرابة، مع تقديم العالم في شكل فوضى.

ويشار بهذا الأسلوب «إلى كل عمل خرج عن المؤلف أو كان كثير الزخرفة، أطلق على معظم الفنون، ساد في أوروبا وأمريكا اللاتينية في روما وإيطاليا، وأشهر ممثليه "بيتربول روبنز P. PAUL ROBENZ"، الذي صور عددا كبيرا من اللوحات التشكيلية والموضوعات الأسطورية وتصميم النفورات والمعابد ونحت التماثيل بإحساس متوهج، ثم انتقل إلى الأدب، حيث طبق "فريتس ستريش" FRITZ STRICH (1882-1963م) أسلوب الباروك على الآداب الأوروبية، خاصة الأدب الإسباني والإيطالي والفرنسي»¹.

فالباروك مصطلح يطلق على أشكال كثيرة من الفن، ساد غربي أوروبا وأمريكا اللاتينية، وهو شكل غريب غير متناسق يتميز بالضخامة، ويمتلئ بالتفاصيل المثيرة، هدفه التحرر من قيود عصر النهضة، فابتكروا هذا الأسلوب الفني للتعبير عن مشاعرهم .

أما الأدب في القرن التاسع عشر، فقد كان «بمثابة أدب فترة تدريب وتأهيل التدريب على الحرية، وضرورة تحقيق ما كان يسمى حينئذ باسم "الانعقاد الذهني" وخلق ثقافة أصلية تتميز بقصص العادات»²، فحكايات العادات لوحة تتماشى مع الوصف الأدبي لمجتمعات أمريكا اللاتينية، التي ثبتت فيها عادات يومية وأنماط شعبية .

«يعد البرازيلي "أسيس جواكيم ماريا ماتشادودي" HAIQUIN M.M ASSIS (1839-1908م) الشخصية البارزة، كتب "مذكرات برات كوياس بعد موته" عام 1880م، و"كينكاس بوريا" عام 1891م، والذي حقق أعمالا تقع شكليا في إطار مذهب واقعية العادات ذات نوعية جمالية نادرة، ورؤية إنسانية، وإعادة خلق للغة الشعبية»³. فبعد وعي الأدباء بهويتهم وحريتهم أرادوا خلق ثقافة خاصة بهم، فكتبوا قصصا وحكايات عن عاداتهم اليومية والشعبية، وعن التفاوتات الاجتماعية بأسلوب مرح غايته إحياء لغتهم الشعبية التي حاول أن يطمسها الغزاة، وبالإضافة إلى ظهور المتجولين يبيعون أشعارهم المعبرة عن مغامراتهم بلهجة فريدة لاقت انتشارا كبيرا .

¹ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز ص 14

² - سيزار فرنانديث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية، ص 24

³ - المرجع نفسه ص 25

وقد قدم الأدب في أمريكا اللاتينية خلال القرون الموالية، مجموعة من المفاجآت في كل الأجناس الأدبية، ففي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين برزت حركة الحداثة في الشعر المكتوب باللغة الإسبانية، حيث نشر " روبن داريو ROSEN DARIO" (1867-1916م) مجموعة قصائد وقصص تحمل عنوان "الأزرق" عام 1988م، التي تظهر فيها دلائل تجديد استثنائية، وهو أعظم الشعراء إن لم يكن الزعيم لكوكبة تتضاعف أسماؤها¹، فقد كان هذا الشاعر رائدا لحركة الحداثة في الشعر، وقد اعتبر ديوانه الأزرق "AZUL" بمثابة فتح جديد في الشعر .

«وقد أكد روبن داريو» بعد ذلك ريادته لشعر الحداثة، بصدر ديوان نثریات دنیویة "PRORA" عام 1896 م²، أي أنه من خلال ديوان الأزرق اعتبر رائدا لهذا الشعر، لكنه من خلال هذا الديوان الأخير فهو يؤكد على ريادته له، ويؤكد على ذلك الناقد دامسو ألونسو (1927م) بقوله: «أن كتاب النثریات الدنیویة للشاعر روبن داريو، قد نقل إلى اسبانيا روح قرن كامل من الشعر الفرنسي»³، فهذه الكلمة لدامسو ألونسو* تعكس مدى الأهمية، وعمق التأثير الذي ارتبط باسم شاعر نيكاراجوا "روبن داريو".

« وقد قارن ألونسو بين لحظتين وقرنين مهمين في تاريخ الثقافة الإسبانية، و هما لحظة اللقاء بين خوان بوسكانو ناباخيرو، والذي يعرف بيوم "غرناطة الشهير" ولحظة ظهور ديوان نثریات دنیویة، فالحظة الأولى أسفرت عن عملية تجديد رائعة للشعر الاسباني خلال ما سمي بعصر النهضة أو العصر الذهبي الأول للأدب الاسباني في القرن السادس عشر والسابع عشر، واللحظة الثانية تمثل هي الأخرى بداية لما يسمى بالعصر الذهبي الثاني للأدب الاسباني خلال القرن العشرين»⁴، أي أن روبن داريو كان في مقدمة الكتاب الذين يشكلون انفتاحا استثنائيا في أمريكا اللاتينية .

¹ - سيزار فرنانديث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية، ص ص 27-30

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 11

³ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 11

* - دامسو ألونسو: هو أحد أبرز الشعراء والنقاد البارزين في اسبانيا خلال القرن العشرين

⁴ - المرجع نفسه ص ص 11-12

«ومثلما نقل القنصل الايطالي " ناباخيرو" إلى اسبانيا روح عصر كامل من الشعر النهضوي الايطالي عند "بترارك" وغيره، نقل "روبن داري" وإلى الشاعر الاسباني في نهاية القرن الماضي روح قرن كامل من الشعر الفرنسي، وتمثل في الحركتين البارزتين البرناسية ثم الرمزية، وهكذا لم يكن هناك في تاريخ اسبانيا الثقافي لحظتان أكثر امتلاء بأنوار الفجر من هاتين اللحظتين، لأن كلا منهما أدت إلى تفجير ينابيع الإبداع»¹ ، مما يعني أن "روبن داريو" كان له الدور الفعال في تطور الأدب في القارة بحيث نقل وعرف بمدرستين مهمتين وفاعلتين كالبرناسية والرمزية، و هي التي تنتمي إلى فترة الحداثة.

ويرصد نقد اسباني آخر وهو "انطونيو بلانش" ANTONYA BLANCH " ملامح التجديد التي استحدثها روبن داريو قائلا: «... في مناخ مفعم بالصرخة الأكاديمية والانغماس في التقليدية، واستخدام العرض السهل ذي القوافي الصعبة المفرغة، جاء "روبن داريو" فذكر الاسبان بقيمة الكلمات وبالحرية العروضية في كتابة القصائد»².

بمعنى أن لاكتشاف هذه المجالات والإمكانيات أثر كبير في تنشيط الذوق، ودفعه نحو التعبير الفردي الذي لم يكن مع ذلك خاطئا، لكنه حول الشعر إلى شيء يزيد على كونه اتحادا شعريا ذات قوالب مصنوعة سلفا .

ولم يكن "روبن داريو" هو الشاعر الأمريكي الوحيد الذي مارس تأثيرا قويا على الشعر الاسباني في القرن العشرين، «بل ظهر شعراء كبار آخرون من هذه القارة لعبوا أدوارا كبيرة في الحركة الطليعية التي ظهرت خلال العقد الثاني من القرن العشرين كالمورائية، والمستقبلية والابتداعية، مثل "بيثينيتا ويدوبرو"، و"قيصر بايخو" وسواهما»³، وهؤلاء الشعراء الطليعيين اشتهروا من خلال أعمالهم الشعرية، ولكن لم يكن هؤلاء الشعراء لوحدهم من ساهموا على الارتقاء بالأدب في أمريكا بل يأتي بعدهم شعراء آخرون أثروا الساحة الأدبية بكتاباتهم المتميزة.

ففي الثلاثينيات من القرن العشرين يأتي الشاعر " بابلونيرودا" "PABLOO NIROUDA" الشاعر الشيلي «ليمارس تأثيرا قويا على شعراء تيار الالتزام في اسبانيا مثل " ميغيل

¹ - المرجع السابق ص 12

² - المرجع نفسه ص 13

³ - المرجع نفسه ص 14

ايرنانديث M.IRNADEZ " وشعراء ما بعد الحرب الأهلية وخاصة ما سمي بجيل الخمسينات»¹، فهذا الشاعر كان له أثر قوي على الشعراء، هذا الشاعر الذي منح جائزة نوبل للآداب عام 1971م من خلال أعماله "ديوان أشعار الحب العشرين 1924 " الإقامة على الأرض " (1933-1953)، "اسبانيا في القلب" عام 1938 م، "الأغنية العامة" عام 1950 م، "كل الحب" عام 1953 م.

وتتواصل المسيرة الظافرة فنجد أيضا «الشاعرة الشيلية "جابريللا ميسترال GABIELLA MISTRAL" (1889-1957م) التي منحت أول جائزة نوبل للآداب في أمريكا اللاتينية عام 1945 م، من أعمالها : "سونيات الموت" عام 1915 م، "كآبة" عام 1922، "دورات الأطفال الجميلة" عام 1923 م، إضافة لعدة مقالات ومراسلات (80) ثمانون رسالة»².

كما نجد إلى جانب هذه القائمة من الشعراء «الشاعر المكسيكي " أوكتايفو باز OCTAVIO BAZ" (1914-1998م)، والذي منح بدوره جائزة نوبل للآداب عام 1990م من أعماله: " متاهة الوحدة" عام 1950 م، "المنسكب شرقا" عام 1969 م، "أبيض" عام 1967م ديوان شعري " نار كل يوم" عام 1979 م، " الشجرة تتكلم" 1987م وغيرهم»³، وقد لعب هذين الشاعرين دورا راسخا في الحركة السيريالية .

كما قدم الشاعر والكاتب الأرجنتيني "خورخي لويس بورخيس KHOURKHI LUIS BOURKHISS" إبداعات قوية لفتت إليه الأنظار في كل أنحاء العالم، وتأتي الأجيال الجديدة فتتفاعل بقوة مع ما يحدث في العالم، وتتتبع الحركات الشعرية تنوعا هائلا، و تقام مؤتمرات للشعر في كل مكان من أمريكا اللاتينية دعا إليها عددا كبيرا من الشعراء المعاصرين»⁴.

فحركة الحداثة التي شهدتها أمريكا اللاتينية من أبرز الحركات التجديدية، والتي ساهمت في الانفتاح على العالم انفتاحا لا مثيل له وقد التف حولها مجموعة من الشعراء، والذين

¹ - المرجع السابق ص 14

² - موريس حنا شريل، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب جروس برس للنشر والتوزيع، طرابلس. لبنان. دط 1996. ص 432-439.

³ - المرجع نفسه ص 435

⁴ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 14

قدموا انجازات مميزة، كانت نتيجتها أن حصلوا على جوائز نوبل للآداب، والتي تعد دليلا على أهمية الأعمال الأدبية وثنائها .

ولكن الشعر ليس المجال الوحيد الذي حصل فيه كتاب أمريكا اللاتينية على مكانة متميزة، بل شهدت الأجناس الأخرى نهضة قوية وخاصة في الرواية، والتي «برز فيها كتاب من جيل الريادة مثل " ميغيل آنخل أستورياس M.ANKHEL ESTORYASS " كاتب جواتيمالا والحاصل على جائزة نوبل للآداب عام 1967 م، وله عملان شهيران هما : "السيد الرئيس" عام 1946 م، "رجال الاتجاه المعروف" عام 1949 م، والرواية الأخيرة يظهر فيها بوضوح الاتجاه المعروف " بالواقعية السحرية"»¹.

فهذا الكاتب يعد من أشهر الروائيين في القارة الأمريكية اللاتينية خاصة في القرن العشرين، بل ويعتبر من أبرز رواد الواقعية السحرية، وإلى جانب هذا الروائي نجد أيضا «أليخو كار بيننير ALIKHO KAR PENTEER " من كوبا، وله مجموعة قصصية في غاية الأهمية وهي الخطوات المفقودة عام 1953 م، ورواية مدهشة هي " مملكة هذا العالم" عام 1949 م «².

وإلى جانب استورياس نجد أن هذا الكاتب من أشهر الروائيين في القارة حتى أن الكاتب «" ماريو بارجاس يوسا MARIO VARGAS YOOSA " يعتبره من أكبر الكتاب في القارة بل وأهم من كتبوا في اتجاه الواقعية السحرية «³.

وقد خطت الرواية في أمريكا اللاتينية مع الأجيال التالية لذلك الجيل الرائد خطوات واسعة وحظيت بشهرة عالمية لا مثيل لهان «وإذا كانت أمريكا اللاتينية تضم عددا كبيرا من الدول والشعوب فإن نهضة الأدب فيها كان لابد أن يأتي شديد التنوع والثراء، ومن ثم فإن الأسماء كثيرة ويصعب جدا حصرها «⁴.

مما يعني أن ينابيع الإبداع في أمريكا اللاتينية وخاصة القرن العشرين، ما أدى إلى تنوع الحركات التجديدية وبالتالي تنوع كتابها، مما يؤدي إلى انتشار كتاباتهم، وهذا لما ارتبطت به

¹ - المرجع السابق ص 15

² - المرجع نفسه ص 15

³ - المرجع نفسه ص ص 15-16

⁴ - المرجع نفسه ص 16

من تقنيات حديثة في الكتابة، وخاصة في الشعر وإلى جانب الحركتين البارزتين البرناسية والرمزية اللتان امتلأت بأنوار الفجر، ظهرت حركات تجديدية أخرى حديثة، ولعل أبرز هذه الحركات التجديدية تتمثل فيما يلي :

ب- أهم التوجهات السائدة:

1/ الواقعية الاجتماعية: « و هي التي تأثرت الى حد كبير بكتاب من أمثال " إميل زولا" ، "بلزاك" ، و"خوسيه ماريا أرجيداس"*** (1911-1969م)، ومن أهم وأبرز ممثليها البيرواني خوسيه ماريا أرجيداس والمكسيكي "فوينتس " عام (1928م)، والبيرواني أيضا " ماريو بارجاسيوسا" ¹، فهذه الواقعية سارت على منوال الواقعية الأوروبية التي يمثلها "زولا" و"بلزاك"، والتي تهتم بمشاكل المجتمع في شكل قضايا واقعية.

2/ الواقعية النفسية: و هي التي «تستخدم تقنيات مرتبطة بالحلم تعبر عن اللاشعور وتيار الوعي والخيال الجامح واستبطان الذات، ومن أبرز ممثلي هذا التيار "أدولفو بيو كاساريس ADOLFO B.K" و"خوسيه روبن روميرو JOUSé R"، و " بدرو برادو PédRO PRADO" و " ادوارد باريوس IDWARED BARYOSS"².

فهذه الواقعية اهتمت بالقضايا النفسية للبشر، ولم تقتصر على حالاته الشعورية بل تعدت إلى الاهتمام بالحالة اللاشعورية له، وهذه الأخيرة التي عرفت من خلال ما قدمه الطبيب النمساوي "سيغموند فرويد"، وفي الوقت الذي اهتم البعض بالقضايا الاجتماعية في حين الواقعية النفسية اهتمت بمشاكل الفرد بالخصوص .

3/ الواقعية البنائية: وهي التي « ترصد ما يقارب عشر اتجاهات، منها التعبير عن القبح، التعامل مع اللغة وكأننا في معمل، محاولة لفهم الواقع، اللامنطق والتجديد الظاهري

* Emile zola (1840-1902 م) روائي فرنسي من رواياته " تيريز راكان" أهم أعلام مذهب الواقعية السحرية

** William belzac (1757-1827 م) هو شاعر ورسام ونقاش انجليزي ، أهم أعماله " أناشيد البراءة" عام 1789 م " زواج السماء والجحيم" عام 1793 م ، وهو من أبرز أعلام الواقعية الأوروبية إلى جانب زولا .

*** Arguedassjosémariam (1911-1969 م) كاتب وروائي من بيرو ، أهم أعماله : " الأنهر العميقة" عام

1958م ، " مزجت كل الدماء" عام 1964 م

¹ - حامد أبو احمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 16

² - المرجع نفسه ص 17

لـلـواقـع... الخ»¹، مما يعني أن لهذا التوجه تجليات كثيرة في الأدب الأمريكي اللاتيني وخاصة في جنس الرواية.

والى جانب هذه الاتجاهات نجد اتجاها آخر انتشر بصورة كبيرة في القارة، ومازال يحظى بشهرة عالمية، وذلك من خلال إبداعات ممثليها، وهو الاتجاه المعروف "بالواقعية السحرية"، وهو التوجه الأكثر صلة بموضوع بحثنا، وعليه نطرح التساؤلات الآتية: ما المقصود بالواقعية السحرية؟ وكيف نشأت؟ وما خصائصها؟ ومن هم أهم روادها وممثليها؟.

4/ الواقعية السحرية: يعد هذا التوجه من أبرز التوجهات والتيارات التي انتشرت في ساحة القارة الأمريكية اللاتينية في العصر الحديث، وقد عرفت بهذا الاسم كونها « جمعت في طياتها بين الواقع الملموس وعالم الأوهام والتخيلات، وذلك في مزيج سحري رائع»²، مما يعني أنها تقوم على المزج بين الواقع الحقيقي للإنسان مع عناصر أخرى متناقضة تماما مع الواقع وهي الخيال، السحر، الأسطورة والوهم فهي «تقوم على أساس مزج عناصر متقابلة في سياق العمل الأدبي فتخلط الأوهام والتصورات الغريبة بسياق السرد»³.

مما يعني أنها تقنية توظف عناصر فانتازية سحرية في العمل الأدبي، في الوقت الذي تتناول فيه الواقع المعاش، فالى جانب هذا الأخير نجد أنها تضيف عليها أحداث خيالية، كقدرة الشخصية الروائية مثلا: على السباحة في الفضاء أو التحليق في الهواء، أو حتى تحريك الأجسام الساكنة لمجرد التفكير فيها أو بقوى خارقة « كغرض احتواء الأحداث السياسية الواقعية المتلاحقة لبلد ما، بشكل يذهل القارئ أو يربك حواسه فلا يستطيع التمييز بين الخيالي والحقيقي في العمل الأدبي»⁴، أي أن المزج بين الواقع والخيال والسحر لا يكون بطريقة عشوائية وطريقة تجعل القارئ يمل منها، وإنما يكون ذلك بطريقة تجعل القارئ متلهفا وشغوبا لقراءة العمل الأدبي لمرات عديدة، وهذا هو المقصود بالواقعية السحرية.

¹ - المرجع السابق ص 17

² - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز ص 03

³ - وردة مناصرية ، الواقعية في رواية "المن تفرع الأجراس" لأرنست هيمغواي إشراف إلهام شادر، رسالة مقدمة لنيل

شهادة المستر في الأدب العربي تخصص آداب أجنبية وأدب مقارن، جامعة عباس لغرور خنشلة 2014/2013 ص32

⁴ - المرجع نفسه ص 33

و قد حظيت هذه التقنية بمكانة هامة في الأدب العالمي وذلك وسط الكتاب والنقاد، وقد أثارت هذه التقنية تساؤلات كثيرة لدى مطالعة الأعمال الروائية، مما أدى بالنقاد والباحثين محاولة تفسيرها وتوضيحها، من خلال تقديم تعريفات لهذا اتجاه وقد تعددت التعريفات في هذا الشأن .

أ- تعريف الواقعية السحرية:

حيث يعرف "تزفيتان تودوروف Tazfitain.todorof" المصطلح بأنه «أدب يقبل وجود الواقع الطبيعي والعادي والعجائبي ليستطيع فيما بعد دحضها جميعا»¹، بمعنى أنه عمل أدبي يصور الأحداث التي يعيشها الفرد، أو المجتمع في الواقع بطريقة فانتازية مختلفة محاولة صنع المستحيل هذا الأخير الذي يتمثل في الجمع بين متناقضين وهما الواقع والخيال .

فيما أورد "حامد أبو أحمد" في كتابه "دراسات في الواقعية السحرية" بأن الواقعية السحرية هي ذلك «التوازن الدقيق والمحسوب بين عنصرين، وهما الواقعي والفانتازي أو الخيالي، فالواقعي هو ما يجري من أحداث على الأرض الواقع... بينما الجانب الفانتازي، هو استعمال عناصر غير واقعية»²، وهذا ما يؤكد على أن المزج بين الواقعي السحري لا يتم بطريقة عشوائية، وإنما يتم بقواعد وقوانين وبطريقة دقيقة، وتؤدي بالضرورة إلى التوازن داخل العمل الأدبي فيما بين العنصرين.

وقد ورد تعريف آخر للواقعية السحرية يقول: «أن الروايات الواقعية السحرية تتوفر بصورة نموذجية على دينامية سردية قوية، يندمج فيها الواقعي الذي يمكن تمييزه بغير المتوقع والمتعذر تفسيره مع الأحلام والقصص الخرافية والميثولوجية، في نمط موزايكي أو متغير الأشكال»³، أي أنها مزيج من الواقع والخيال بحيث يقوم هذا المزيج على أساس الحقيقة، كما تعرف الواقعية السحرية على أنها «نزعة أو اتجاه ظهر في الأدب الإسباني الأمريكي اللاتيني في النصف الثاني من القرن العشرين ويرمي إلى استخراج العجيب المتخفي من

¹ - حليفي شعيب، شعرية الرواية الفانتاستيكية. المجلس الأعلى للثقافة القاهرة. مصر. دط 1997 م ص 31

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعة السحرية ص 16

³ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز ص 24

الحقيقة، ورفع له أسطورة أو وهما خياليا، فهي تهدف إلى تجاوز مفهوم الواقعية المعروفة فتوظف الخيال أو الوهم في الروايات التي تأخذ غالبا من أعماق الحياة اليومية، ومن تاريخ جنوب أمريكا¹.

فهذا التعريف يؤكد على ما أورده النقاد في التعريفات السالفة الذكر، أما فيما يخص الاختصار على الحديث عن ارتباط الواقعية السحرية بجنس أدبي واحد، وهو الرواية فيؤكد على ذلك الكاتب " روبرت لوسخولس ROBERT LOSKHOLE " الذي عرف هذا المصطلح ونقصد " الواقعية السحرية " «بالخيال الميتافيزيقي ولا يصلح إلا للروايات الطويلة والمتنامية الأحداث، التي تخترق بطرق مختلفة كل التوقعات الروائية من خلال استخدام عنصر السحر، هي ذات تأثير كبير على القارئ...»².

مما يعني أن الواقعية السحرية تتجسد بصورة جيدة من خلال الرواية كونها الجنس الأدبي الوحيد الذي يسمح أو يتيح الفرصة للكاتب الواقعي السحري، تجسيد تقنية المزج بين الواقع والخيال والسحر بأسلوب حدائي متقدم والذي يهدف إلى التأثير في القارئ، وهذا ما يؤكد " صلاح عبدي " في قوله: «... حيث يشعر القارئ أنه أمام عمل قصصي فذ ومؤثر، وفيه قدر كبير من الإمتاع وإثارة الدهشة وتقدير القدرات الإبداعية عنده...»³.

ومن المؤكد أن لهذا التوجه رواد وممثلين إلا أن «هذا المفهوم ارتبط بكتابات الكولومبي "غابريال غارسيا ماركيز" الذي جاءت أعماله الأدبية لتضرب موعدا بين ما هو سحري وما هو واقعي، فكانت بمثابة ثمرة تمازج الخيال بالواقع، إذ يعتمد إلى تسخير الوقائع المادية المتعجبة بتشكيل خيالي، من نوع خاص يختلط الخرافي بالأسطوري»⁴، أي أن ماركيز برز كرائد للواقعية السحرية، حتى أن مصطلح الواقعية السحرية يقترب دوما باسم هذا الكاتب الروائي العالمي «الذي كان منذ قصصه الأولى يعمل من أجل الوصول إلى شكل قصصي

¹ - سميرة بن جامع، العجائبي في الخيال السردي في "ألف ليلة وليلة، شراف: صالح لمباركية، مذكرة لنيل شهادة

الماجستير في الأدب العربي تخصص أدب قديم، جامعة الحاج لخضر، باتنة. الجزائر. 2010/2009 ص 13

² - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز ص 23

³ - صلاح الدين عبدي، الواقعية السحرية في أعمال إبراهيم الكوني رواية " الورم نموذجاً".مجلة العلوم الإسلامية الدولية

العدد 19(4) بيروت 2013/1433 ص 90

⁴ - علاوي الخامسة، العجائبية في أدب الرحلات "رحلة ابن فضلان" نموذجاً" إشراف: عبد الله حمادي، رسالة مقدمة لنيل

شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 1999 م ص 66

مؤهل لصنع عالم خرافي، لما أطلق عليه هو نفسه " المصير الغريب للواقع اللاتيني الأمريكي الذي قال عنه " كارلوس فوينتس KARLOS FONTES " أنه يتمثل في التوتر الحادث بين اليوطوبيا، الملحمة والأسطورة، وهي خاصية من خواص تاريخ أمريكا اللاتينية»¹.

مما يعني أن ماركيز حاول التغيير وهدم الأشكال التقليدية المستهلكة، وإقامة شكل قصصي (روائي) يحمل روعة الجديد وغرابته، إلى جانب تماشيه مع واقع أمريكا اللاتينية التي تعاني من تداخل العصور « فكل شيء فيها يحدث في وقت واحد ... ويمكن أن يختلط الواقع بالخرافة والسحر والأسطورة »². حيث يقول ماركيز: «في أمريكا اللاتينية كل شيء ممكن وكل شيء واقعي، أما ألا واقع فهو الفوضوية المكتسبة في جسد الحداثة...»³، «وهو الذي أقنع ماركيز بأنه لا يمكن أن يكون إلا أدبيا واقعيًا»⁴. ولهذا نقراً على لسانه في المحادثات التي أجراها معه " بلينيوميندوثا MENDOOZA PLYNIO " «إن الواقع في أمريكا اللاتينية يمج بأشياء غريبة لا يصدقها عقل».

وهذا يعني أن واقع القارة هو من فرض مثل هذا النوع من الكتابات، ولكن إذا دققنا في قوله الذي ورد في المحادثات، نجد أنه يشير إلى نقطة إضافية، فيما يخص كتاباته وهو أنه على الرغم من اختلاط الواقع بالسحر والخرافة والأسطورة في القارة إلا أنه بقي على قناعة بأنه لا يمكن إلا أن يبقى كاتباً واقعياً، وفي هذا يقول ماركيز «إننا نحن كتاب أمريكا اللاتينية والكاريبي ينبغي أن نعترف ونسلم بأن الواقع أفضل منا جميعاً، فقدّرنا هو أن نقلده بتواضع وبشكل أفضل في إطار المتاح لنا»⁵.

ولكن رغم هذا فإن الواقع الفعلي لقارة أمريكا اللاتينية، الذي يتميز بالخرافة والأساطير وبعض الأمور العجيبة والخرافة للمألوف، هو أن ما جعل ماركيز يستثمر كل هذه العناصر

¹ - حامد أبو أحمد ، قراءات في أدب اسبانيا وأمريكا اللاتينية ص 61

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 16

³ - حامد أبو أحمد، قراءات في الواقعية السحرية ص 68

⁴ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 16

⁵ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، ترجمة ،عبد الله حمادي.المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر

في رواياته وقصصه «واستطاع أن يتمثل تاريخ بلاده، واقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأطماع الامبريالية التي أحاطت بهذا التاريخ، و عرف كيف يقدم لنا المنظومة الواقعية الرائعة السحرية في عمل فني»¹.

إن ما نستنتجه من خلال ما تقدم فيما يخص الواقعية السحرية، وما أوردناه من تعريفات هو أن الواقعية السحرية على الرغم من تعدد المفاهيم، والتي قدمها الباحثون إلا أنها تشترك في فكرة واحدة، وهي أنها تقنية جديدة تمزج الواقع المعاش مع عناصر أخرى من خرافة وسحر وأسطورة، وبالتالي فالواقعية السحرية على اختلاف المفاهيم وطريقة صياغتها إلا أنها في جوهرها واحد.

ب- نشأة الواقعية السحرية:

تعتبر الواقعية السحرية من أبرز التيارات الأدبية التي ظهرت في العصر الحديث، وقد شاع هذا المصطلح في النصف الثاني من القرن العشرين «بشيوخ أعمال عدد من كتاب القصة في أمريكا اللاتينية ومنهم "خورخي لويس بورخيس K.LUIS.BOURKHÉS" الكاتب الأرجنتيني في بعض قصصه، غير أنها باستعمال غابريال غارسيا ماركيز في روايته "مائة عام من العزلة" عام 1967، ذاع صيت هذه المدرسة في العالم»².

ويضيف إلى أن «استعمال المصطلح يعود إلى أبعد من ذلك، ففي عام 1925 م استعمله الألماني "فرانز روه FRANZ ROH"، في عنوان كتاب ناقش فيه بعض خصائص وتوجهات الرسم القريب من السريالية، حيث تكون الموضوعات المرسومة والأشياء قريبة في غرابتها من عوالم الحلم وما يخرج عن العالم المؤلف من رموز وأشكال»³.

مما يعني أن مصطلح الواقعية السحرية ظهر على يد "فرانز روه"، فهو من ابتكره وأطلقه على نوع من الرسم يتم فيه ربط الأشكال الواقعية بطريقة لا تتطابق مع الواقع اليومي، وهذا الفن هو الرسم التعبيري وما يقابل باللغة الانجليزية "EXPRESSIONIST PZANTING". «وبالتالي فقد كانت الواقعية في بادئ الأمر ملتصقة بمجموعة من الفنانين الشباب في كل

¹ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية، ص 74

² - ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي (إضاءة الأكثر من 70 مصطلحا نقديا وأدبيا). المركز الثقافي

العربي، الدار البيضاء المغرب - بيروت - لبنان ط 5 2007 ص 348

³ - المرجع نفسه، ص 348.

من ألمانيا وإيطاليا منذ عام 1920 م، وعادت إلى الظهور في عام 1943م، في متحف نيويورك، للفن الحديث المعروض بعنوان " الواقعيون الأمريكيون الواقعيون السحريون " تضمن أعمال كل من " ادوارد هويس IDWARD HOEZ " و"تشارلز شيلر T.SHILLER"¹، ثم شاعت الواقعية السحرية «في الأدب خاصة في القصة بشكليها الرئيسيين: الرواية والقصة القصيرة»².

بمعنى أن الواقعية السحرية ظهرت في البداية في الرسومات ذات الأشكال والرموز الغريبة غير المطابقة للواقع، وبعدها شاعت تدريجيا في الأدب فتلقفها كتاب أمريكا اللاتينية واشتهروا بها. هذا فيما يخص الواقعية السحرية كتوجه فني وأدبي.

أما في ما يخص التيار كمصطلح، فقد مر عبر مراحل فقد كان «في البداية الأولى له كانت تدعى " ما بعد التعبيرية"، من قبل بعض النقاد ولكن عندما جاء " فرانز روه"، استعمل في البداية عبارة " الواقعية الجديدة"، وقال: الواقعية الجديدة حركة فنية حديثة ظهرت في القرن العشرين بعد الحرب العالمية الأولى، وظهرت في مرحلتين: الأولى بدأت عام 1919 م، وسبقت السيريالية بعدة سنوات، والثانية بدأت في أمريكا اللاتينية في عقد متأخر، وامتدت هاتان المرحلتان عبر أربعة عقود تقريبا»³.

بمعنى أنه قبل أن يظهر مصطلح الواقعية السحرية عرف المذهب تسميات مختلفة إلى أن استقر "فرانز روه" على هذا المصطلح، واشتهر هذا المذهب بهذه التسمية، ومن بين هذه التسميات "الواقعية الخيالية" حيث قام بعض الكتاب بإطلاق المصطلح، وجعلوا لكل مصطلح دورا في العملية الأدبية، فربطوا مصطلح الواقعية السحرية بالأعمال الأدبية الخيالية، وربطوا المصطلح الثاني بالأعمال العلمية وفي ذلك يقول "صلاح فضل": «وقد قام بعض الكتاب في أمريكا اللاتينية بتبني تسمية أخرى وهي الواقعية الخيالية»⁴.

¹ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز ص 29

² - ميجان الرويلي، سعدالبازغي، دليل الناقد الأدبي ص 348

³ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز ص 29

⁴ - صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ط 1978 ص 31

إذن فقد مرت تسمية هذا التوجه بمراحل عديدة، لكن على الرغم من اختلافها من ناحية المصطلح، إلا أن جوهرها واحد إلى أن ثبت مصطلح الواقعية السحرية، على هذا التوجه وهي التسمية الأقرب والأنسب.

ج- خصائص الواقعية السحرية:

تتميز الواقعية السحرية مثلها مثل أي توجه أدبي آخر بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من التوجهات، ولعل أهم هذه الخصائص تكمن في كونها تتضمن الغرائبية، فعلى القاص أن ينطلق إلى الصيغة الساحرة لأن الغرائبية جزء رئيسي من دلالات الواقعية السحرية،¹ تكمن الغرائبية في توظيف الأسطورة المطعمة بالرمز إلى جانب السحر والخيال، ذلك أن الواقعية السحرية هي الجمع بين الواقع الفعلي وتصورات المجتمع عن ذاته، خاصة التصورات التي تقوم على الأوهام والغرائبية¹.

بمعنى أن الغرائبية هي جزء لا يتجزأ من الواقعية السحرية، فكما تعتبر خاصية من خصائصها فيمكن اعتبارها أيضاً شرطاً تقوم عليه ويؤكد على ذلك "حامد أبو أحمد" بقوله: «وجود الواقعي الغرائبي هو الأساس في ظهور الواقعية السحرية»². فهو ما يثبت ما سبق وأن قلنا في كونها شرط فيها إلى جانب الغرائبية نجد خصائص عديدة منها :

«الواقعية السحرية موقف إزاء الواقع ومن ثم يمكن، التعبير عنه في أشكال شعبية أو مثقفة، وفي أساليب مسوغة بدقة أو عامية...»³، أي أن الواقعية السحرية على الرغم من الجانب السحري فيها إلا أنها تنطلق من الواقع، والذي يعتبر أرضاً خصبة لها، وهو ما يؤكد الخاصية الثانية التي أوردها "حامد أبو أحمد"، وهي أن الكاتب في الواقعية السحرية «يتواجه مع الواقع ويحاول أن يسير أغواره، وأن يكتشف ما هو سري في الأشياء وفي الحياة في الأفعال الإنسانية»⁴.

¹ - باسم عبدو، الواقعية السحرية. كشف ما هو سري في الأشياء وفي الحياة ملحق ثقافي. مؤسسة الوحدة للصحافة

والطباعة والنشر -دمشق-سوريا 2011 ص 05

² - حامد أبو أحمد.دراسات في الواقعية السحرية ص 44

³ - المرجع نفسه ص 43

⁴ - المرجع نفسه ص 43

بمعنى أن الواقع له دورا أساسيا في هذا التوجه، فهو أساس قيامها وأرض خصبة له بل وهو موضوعها أيضا، وهو ما يثبت قول ماركيز: «إن أفضل القصص هو ما كان تعبيراً عن الواقع»¹، ومع ذلك فإن المطلع على الكتابات الواقعية السحرية يجد أن «الأحداث الرئيسية ليس لها تفسير منطقي أو سيكولوجي»²

وإن سبب عدم القدرة على تفسير الأحداث هو كونها ترتبط بأشياء من صنع الخيال، وتكون بعيدة عن المنطق، وهو ما يؤدي إلى إثارة دهشة القارئ وحيرته، إلى جانب متعته وهو يطالع الأعمال الأدبية، وأن المتعة التي يحسها القارئ تجعله «في غير حاجة إلى تبرير ما هو سري في الأحداث»³، فهو بالرغم من عدم تصديقه للأحداث الخيالية إلا أنه لا يميل من الاستمرار في المطالعة.

إلى جانب هذه الخصائص نجد أن «الواقعي السحري لا يحاول أن ينسخ (كما يفعل الواقعيون)، ولا يجرح الواقع (كما يفعل السرياليون)، وإنما يحاول أن يقتنص السر الذي ينبض في الأشياء»⁴. بمعنى أن الواقعية السحرية لا تكون تكرارا لما حدث في الاتجاهات الفنية الأخرى التي سبقتها، كالواقعية التي ظهرت في أوروبا أو حتى السيريالية، بل أنها واقعية اكتسبت صفة الحلم والغرابة، ودخلت إلى الوعي واللاشعور وتمثيل الواقع وتصوير الزوايا المخفية.

د- رواد الواقعية السحرية:

تمثل هذا الاتجاه من خلال الأسماء التي تتركز عادة في خمسة أسماء وهم «اليخو كاربينتيير CARPENTIER ALEGO (1904-1980م)، ميغيل أنخل استورياس MIGUEL ANGEL ASTURIAS (1899-1974م)، خورخي لويس بورخيس JURGE LUIS BORGES (1899-1986م)، خوليو كورتازار JULIO CORTAZAR (1914-1984م)، وأشهرهم غابريال غارسيا ماركيز GABRIEL

¹ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز ص 31.

² - حامد أبو أحمد. دراسات في الواقعية السحرية ص 44.

³ - المرجع نفسه، ص 44.

⁴ - المرجع نفسه، ص 44.

GARCIA MARQUEZ " عام 1928 م والذي ارتبط اسمه بتيار الواقعية السحرية و " خوان رولفو " ¹.

1/ أليخو كاربينتيير ALEGO CARPENTIER:

هو «روائي وموسيقي وكاتب مقال ودبلوماسي ، ولد في هافانا "LA HAVANA" بكوبا عام 1904 م، وتوفي في باريس " PARIS " عام 1980 م ²، احترف العزف على الآلات الموسيقية، وشغل نفسه بالتأليف الموسيقي وكتب عن التاريخ الموسيقي الكوبي، وانعكس هذا الاهتمام في عهد من رواياته وقصصه ³.

«اشترك في إنشاء مجلة التقدم (1927-1930 م) التي كانت لسان الأدب الكوبي الطليعي» ⁴ «كما شارك مع مجموعة من المثقفين الكوبيين، التي شاركت بنشاط كبير في مجريات السياسة في العشرينات، ومن جراء هذه المشاركات سجن لفترة قصيرة عام 1928م» ⁵، «كما عاش منفيا فترة طويلة من حياته في باريس وهاييتي وفنزويلا، كما عمل في باريس سفيراً لبلاده، وقد حصل على عدد من الجوائز العالمية مثل جائزة الفونصوريس عام 1975 م، وجائزة مجيل دي سربانتيس عام 1977 م، ونوبل للغة الاسبانية» ⁶.

ويقال عنه أنه أول من صاغ مصطلح الواقعي العجائبي، الذي ورد في مقدمة روايته "مملكة هذا العالم" LE ROYAUME DE COMOND " عام 1949 م، والتي تجمع بين الواقع والعلم والعقل والخيال والتاريخ والحكاية الخرافية والحياة والموت كأنها لوحة فاخرة سحرية ومجازية ⁷.

¹ - حنا شريل موريس، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب، ص 327.

² - حامد أبو احمد، دراسات في الواقعية السحرية. ص 30.

³ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية. ص 220.

⁴ - حنا شريل موريس، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب. ص 328.

⁵ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية. ص 220.

⁶ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية. ص 30-31.

⁷ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابرييل غارسيا ماركيز. ص 34.

2/ خورخي لويس بورخيس JORGE LUIS BORGEZ :

هو الكاتب الأرجنتيني، « ولد في بوينس آيرس " BEUENOS AIRES " عام 1899 م وتوفي في جنيف " Genève " عام 1986 م، كان شاعرا وقصاصا وكاتب مقال¹، كان واحدا من الأعضاء البارزين لحركة رواد الطليعة في العشرينات والمسماة الماورائية²، كتب أشعار " حماسة بوينس آيرس " عام 1923 م، و " دفتر سان مارتين " عام 1924 م، و " القمر المواجه " عام 1925 م ...، كان مديرا لمكتبة بوينس لآيرس الوطنية وأكثر، من نادى بوحدة الفكر والأدب العالمي عبر تناوله لمزيج من نتاج الذهن العالمي، وعبر أشعاره وقصصه وكتبه النقدية³، « له مقالات بعنوان " تحقيقات INQUISTIONS " عام 1925 م، و " جدل DISCUSSION3 " عام 1932 م، و " قمر في المواجهة "، و " التاريخ العالمي للفضيحة "، و " الألف ALEPH " عام 1949 م، و " تخيلات FICTIONS " ⁴،

«جمع بورخيس في أعماله بين الأسطوري والفانتازي والميتافيزيقي، مع خلفية ثقافية رفيعة تضرب في جذور الثقافات العالمية ومنها الثقافة العربية، لأنه كان من أشد المعجبين " بألف ليلة وليلة "، والذي كان يحمله دائما في سفرياته ضمن ستة أو عشرة كتب لا يتحمل أن تكون بعيدة عنه»⁵.

3/ ميغيل أنخل استورياس A. MINGUEL ANGEL :

« كاتب وشاعر غواتيمالي ولد في مدينة سويداد عام 1899 م، وتوفي في مدريد عام 1974م، كان قصاصا وشاعرا ومسرحيا، ومحاميا وصحافيا، ودبلوماسيا⁶، و«هو أول من حاز على جائزة نوبل للآداب عام 1967 م من قصاصي القارة، عرف بوجه خاص من

¹ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية. ص 35.

² - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية. ص 217.

³ - عبد الهادي سعدون وملك صهيون، قصص من أمريكا اللاتينية. دار ود للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. سوريا ط1

1999 م ص 09

⁴ - حنا شربل موريس، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب. ص ص 120-121.

⁵ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 35.

⁶ - حنا شربل موريس، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب ص 26.

خلال روايته " السيد الرئيس " عام 1946 م، والتي تتبعها برواية ثانية هي "رجال من الذرة" عام 1949 م، وهو الأكثر أصالة وفنا من مجمل أعماله الأدبية الأخرى.

درس في فرنسا، وعاش منفيا في بوينس آيرس لمدة 11 عاما، كتب معظم أعماله الإبداعية في هذه الفترة، وقد ظهرت مقارناته السياسية عبر ثلاثيته الروائية " حقول الموز " وهي ربح صاعقة عام 1950 م، الباب الأخضر عام 1954 م، عيون المدفونين عام 1960 م¹.

4/ خوليو كورتازار JULIO CARTAZAR :

« هو كاتب أرجنتيني، ولد في مدينة بروكسل عام 1914 م، وتوفي في باريس عام 1984 م، درس الآداب في بوينس وعين مدرسا، لكنه اضطر إلى ترك البلاد عام 1936م، واستقر في باريس وعمل كمترجم في اليونيسكو، ترجم أعمال بعض الكتاب المشهورين أمثال "اندرية جيد ANDRE GIDE" و"ادغار ألن بو EDGAR ALLAN POE"².

وهو « يعتبر الأديب المرموق والأكثر شهرة في القارة بعد جيل أبناء بلده مثل بورخيس، كاساريس، ونشر مجموعتين قصصيتين في بداية حياته الأدبية وهما "نهاية اللعبة" عام 1956 م و" الأسلحة السرية " عام 1959 م، واستمر بكتابة القصة القصيرة حتى رحيله، كما أنه حقق شهرة عبر أعماله الروائية الذائعة الصيت " الجوائز " عام 1960 م و"الحجلة" عام 1967 م، حتى أنه يعتبر أحد المجددين في حقل الرواية الذهنية في أدب القارة وبالأخص في روايته " الحجلة "³.

5/خوان رولفو:

«هو كاتب مكسيكي من مواليد عام 1918 م، وهو روائي وقصاص ومصور وكاتب سيناريو، ومعظم أعماله في السيناريو، ولكنه حاز على شهرة عالمية برواية ومجموعة قصصية، أما الرواية هي: " بدرو بارامو"، وقد صدرت عام 1955 م، ولمجموعة هي "سهل

¹ - عبد الهادي سعدون وملك صهيون، قصص من أمريكا اللاتينية. ص 23.

² - حنا شربل موريس، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب. ص 361.

³ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية. ص 15.

يحترق " عام 1963 م¹، ويعتبر رولفو واحدا من أهم رواد الواقعية السحرية بروايته المذكورة " بدرو بارامو" والتي أعادت إحياء أساطير قديمة جميعها هيلينية، غيرت تراتب الزمن وحلت الأسطورة محل التاريخ»².

إلى جانب هؤلاء الكتاب نجد الكولومبي غابريال غارسيا ماركيز، الذي يعد رائدا لهذا التوجه والذي سنخصه بالحديث في الفصول الموالية.

ولكن الجدير بالذكر أن القول بأن الفضل في اكتشاف أسلوب الواقعية السحرية يعود لكتاب أمريكا اللاتينية وأنهم هم من مهدوا له- في الحقيقة- هو ظلم للعديد من الأعمال التي سبقت ماركيز وغيره، لأن الواقعية السحرية لها صلة قوية بثقافتنا وتراثنا العربيين، فقد ظهر هذا الأسلوب قبل هذا «في العصور العباسية في الأعمال العربية كـ " ألف ليلة وليلة"، والتي تحمل في طياتها العديد من السحر، لذلك يمكن اعتبار حكايات "ألف ليلة وليلة" من أولى الأعمال التي عالجت موضوع العجيب والغريب والسحري، فهي حكايات غنية ومتنوعة ومتداخلة وفيها الكثير من قصص الحب والمغامرة والنوادر الغريبة والخرافة»³.

ومن هنا نكتشف أن هذه التقنية المعروفة بالواقعية السحرية، كانت مجسدة فيما سبق في هذه الحكايات التي تعرف بما تحمله في طياتها من خوارق وعجائب وإن لم تكن تعرف بهذا المصطلح، وبالتالي فالواقعية السحرية من حيث الشكل هي شكل من أشكال القصص القديمة، فقد استهلكها التراث العربي منذ زمن بعيد في المدون منه والشفوي وحقيقة لا يمكن لأي عاقل أن ينكر الكم الهائل من العجائبي والسحري، الذي احتوت عليه هذه الحكايات التي تعرف عند البعض "بحكايات الليالي"، والتي تزخر بقصص أسفار السندباد وما تحمله من الحديث عن المخلوقات السحرية العجيبة، والكائنات الخرافية والأماكن الأسطورية التي وطأتها أقدام السندباد، كما أن إنكار سبق هذه الحكايات في هذا النوع من الأسلوب لا جدوى منه خاصة وأن عرفنا أن معظم ممثلي هذا التيار تحدثوا عن شغفهم بهذه الحكايات

¹ - حامد أبو احمد، دراسات في الواقعية السحرية. ص37.

² - المرجع نفسه. ص 38.

³ - محسن الجاسم الموسوي، الوقوع في دائرة السحر (ألف ليلة وليلة في النقد الأدبي الانجليزي)، الدار الوطنية للتوزيع. بغداد. العراق دط. 1910 م. ص 12.

وتأثيرها الكبير عليهم، لدرجة أن الكاتب الأرجنتيني "بورخيس" أقر بأنه يحمل كتاب الليالي معه أينما ذهب.

و في الأخير نستنتج أن كل هذه الاتجاهات أثرت، وتثري إلى الآن أدب أمريكا اللاتينية لأن هناك عددا كبيرا من الأجيال تتلاقى إبداعاتها، فمنهم من هو مولود في العقد الثالث من القرن العشرين يكتب ويؤثر بقوة في الساحة الأدبية للقارة، ومنهم الكولومبي غارسيا ماركيز وغيره من الأدباء.

كما أننا نجد أن الأمر الجدير بالذكر، هو أنه رغم أن الواقعية السحرية واحدة في جوهرها، إلا أنه بتعدد روادها تعددت عوالمها فالحقيقة أن كل قصاص داخل هذا الإطار له عالمه الخاص "فخوان رولفو" له عالمه الخاص، و"خورخي لويس بورخيس" له عالمه كذلك، وكل منهما مختلفان عن عالم ماركيز، هذا فيما يتعلق بالواقعية السحرية،

أما عن القارة الأمريكية اللاتينية فإننا نرى بأنها قارة التناقضات، ولهذا نجد أن ماركيز يقول عنها بأن قارة المتناقضات، وكل شيء فيها ممكن وكل شيء واقعي، فالقارة من الناحية الجغرافية تحتل مساحة كبيرة، إلى جانب الموقع الذي تتمركز فيه، فهي تتمركز على خط الاستواء وهذه المنطقة كان لها الدور الفعال في حياة الدول، وهو بالضرورة يؤدي إلى التطور الهائل ولكن، مع ذلك مازالت القارة تعاني معاناة شديدة في العديد من مجالات الحياة، فالقارة على الرغم من الثروات التي تملكها، إلا أنها لم تصل لدرجة التخلص من الفقر المدقع في العديد من الدول.

إلى جانب التناقض الواضح والغريب الذي تعرفه القارة، وهو وجود دول ومناطق تملك ثروة صناعية متقدمة وضخمة، في الوقت الذي توجد فيه دول أخرى ومناطق مازالت تعيش أوضاعا متردية، إلى جانب النقص الهائل في مجال التعليم والصحة، كذلك الناحية الثقافية للقارة فهي أيضا لم تسلم من التناقض حيث أن في الوقت الذي نجد الأمية منتشرة في العديد من الدول في القارة نجد دولاً أخرى تشهد تطورا هائلا وانتشارا واسعا لتوجهات حديثة . ولعل الواقعية السحرية أبرز هذه التوجهات، والتي ارتبط اسمها بالروائي الكولومبي " غابريال غارسيا ماركيز " فمن هو ماركيز؟ ومتى بدأ مشواره الأدبي؟ وما هي أبرز روافده؟ كل هذه تساؤلات وأخرى سنحاول الإجابة عنها في الفصل الموالي.

الفصل الأول

غابريال غارسيا ماركيز

أولا/ نبذة عن حياة ماركيز

ثانيا/ بداية حياة ماركيز الأدبية

ثالثا/ المصادر التي اعترف منها ماركيز

رابعا/ آراء النقاد حول ماركيز و كتاباته

خامسا/ قيمة ماركيز وشهرته

سادسا/ علاقة ماركيز في رواياته بالواقع

أولاً/ نبذة عن حياة ماركيز:

1/ مولده ونشأته:

بفضل قيود الديكتاتوريات في قارة أمريكا اللاتينية برز إلى الوجود رائد الواقعية السحرية أو العجائبية في قمة القرن العشرين، والذي يحتل موقع الصدارة ضمن قائمة أدباء أمريكا اللاتينية والذي استطاع أن يؤسس عالماً روائياً متماسكاً وشامخاً تتجلى فيه موهبته الكبيرة.

ولد الروائي غابريال غارسيا ماركيز « في السادس من مارس 1928م بقرية أركاتاكا في شمال كولومبيا »¹ بأمريكا اللاتينية « من أبوين تحابا وتزوجا رغماً عن إرادة الأهل »²، فقد كانت أمه « " لويسة " وهي ابنة الكولونيل "نيكولاس ماركيز" الذي كان من قدماء المحاربين »³ فقد كان « أحد الذين أسهموا في بطولات الحروب الأهلية، وهو ما جعله يحظى باحترام في كل أنحاء المنطقة »⁴، فقد عرف بمشاركاته في العديد من الحروب الأهلية والثورات، وأهمها حرب الألف يوم 190/1899* ، وبالتالي فقد كانت العائلة ذات مكانة عالية في المجتمع.

« أما أبوه فكان يدعى " غابريال أليخيو غارسيا " الذي حل بأركاتاكا للعمل في مكتب التلغراف كموظف للبرق، بعد أن ترك مواصلة دراسته في الطب بجامعة قرطاجنة »⁵، يعني أن والده لم يكن يحظ بنفس تلك المكانة التي حظيت بها والدته كونها ابنة كولونيل معروف. وقد كان هذا الفرق في مكانة كل من والدة ووالد غابريال غارسيا ماركيز، سبباً في معارضة عائلة الكولونيل من الموافقة بسهولة على زواج والده ووالدته رغم كونهما أحبا بعضهما البعض لكنهما تزوجا في الأخير رغماً عن إرادة الأهل.

¹ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، ترجمة صالح علماني. دار دانية للطباعة والنشر. بيروت. لبنان / دمشق سوريا. ط1. 1991. ص05

² - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة". لغابريال غارسيا ماركيز. ص05

³ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر ط1. 1982 ص05

⁴ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية . (نسخة الكترونية) PDF - ص 265

* - حرب الألف يوم : هي من أهم الحروب الأهلية في أمريكا اللاتينية وكولومبيا بشكل خاص، خلفت هذه الحرب ما يزيد عن مئة ألف قتيل غالبيتهم من الفلاحين البسطاء.

⁵ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص32.

من خلال ما تقدم نجد أن هذا الروائي يحمل اسم والده "غابريال" إلى جانب لقبه "غارسيا" وفي الأخير اسم ماركيز وهو لقب عائلة والدته، ومنه يتشكل اسمه "غابريال غارسيا ماركيز"، لكن "ماركيز" لم يكن يعيش مع أهله بل انتقل والداه « إلى بارانكويا عام 1929 تاركين ابنهما في رعاية جديه لأمه لفقرهما »¹، حيث نجد ماركيز يقول في هذا الشأن يقول بأنه «عاش مع جديه ثماني سنوات أشبه بيتيم لا يعرف أين أبواه...»² بمعنى أنه يقر بأن علاقته كانت وطيدة ووثيقة بجديه أكثر من والديه الذين يجد في تركهما له أشبه بيتيم مجهل مكان تواجد والديه، لكنه في الواقع هو على دراية تامة بمكانهما. وهو ما سيتضح أكثر في عناصر موالية.

2/ سيرة حياته:

عاش ماركيز في بيت جديه منذ نعومة أظافره، لأن والداه انتقلا إلى قرية أخرى غير التي ولد فيها ماركيز وهي قرية بارانكويا 1929 تاركين إياه في رعاية جديه لأمه لأنهما كانا يعيشان في وضع معيشي مزر مما يصعب عليهم القدرة على تربية وتلبية حاجياته. ولما بلغ ماركيز من العمر ثماني سنوات، توفي جده الكولونيل ماركيز « وبعد وفاة جده... الأمر الذي أصبح يعتبر بالنسبة له نهاية مرحلة طفولته ونهاية عهده بأركاتاكا »³. أي أنه اعتبر وفاة جده بمثابة صدمة له بل وأكثر من ذلك فقد رأى بأن وفاته بمثابة صدمة له بل وأكثر من ذلك فقد رأى بأن وفاته بمثابة حاجز فصل بينه وبين طفولته التي كان يحس بها في وجوده.

«انتقل إلى بوغوتا من أجل إكمال تعليمه في مدرسة داخلية يسوعية »⁴ ، أي أنه قبل وفاة جده كان يدرس مثله مثل جميع المتعلمين، حيث يدرس لكنه يعيش في بيت، لأن جده كان مسؤولا عنه ومتتبعا له فرأى أن الأحسن أن يترك البيت ويدرس في مدرسة داخلية عسى أن يجد له متتبعا آخر ومراقبا له بل ومهتما به كاهتمام جده.

¹ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مئة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز. ص 37

² - المرجع نفسه، ص 37.

³ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا. ص 05.

⁴ - المرجع نفسه، ص 05.

وقد أورد "عبد الله حمادي" تفاصيل رحلته إلى بوغوتا قائلا: «في ذلك القارب بدأ غابريال وهو في الثامنة عشر من عمره ولأول مرة ما يشبه النفي الذي سيتحول أبديا في حياته حيث كانت عشية من شهر يناير والتي يذكرها كآخر يوم في حياته، وجد نفسه وحيدا في محطة بوقوصا*... التي تبدت له قصة حزينة، التي توجد فيها الثانوية التي منح له مواصلة الدراسة فيها، والتي هي عبارة عن دير بلا تدفئة ولا زهور»¹،

مما يعني أنه منذ أن دخل هذه المدينة منذ الهولة الأولى وأحس بصدمة كبيرة وحزن شديد لما تشهده المدينة من ترد في الأوضاع وفي كافة النواحي جراء معاناتها من الحرب الأهلية التي دامت إلى ما يقارب عشرة أعوام ويضيف قائلا: «إن الثانوية كانت عبارة عن عقاب وتلك المدينة عبارة عن عدالة ظالمة...»².

فهذه الثانوية كانت تفتقر إلى كل الإمكانيات التي تساهم في إعانة التلاميذ وتشجيعهم على الدراسة من تدفئة وأماكن ترفيهية وغيرها من الأوضاع والإمكانيات التي تساهم في رفع معنويات التلاميذ للدراسة، خاصة وأن ماركيز ولد وترعرع في مدينة كانت أكثر تقدما وتطور من هذه المدينة إلى جانب عيشه في منزل جده الكولونيل والذي من الأكيد أن يكون راقيا وفخما وملائما في جميع الفصول ولأي عمل كان، وبهذا وبعد المقارنة بين بيت جده وبين هذه الثانوية اعتبرها بمثابة عدالة ظالمة، وفي هذه العبارة تتناقض واضح لكونها تجمع بين شيئين متناقضين تماما، فالعدالة لفظ تستثني كل ظلم وجور وإذا ما أسقطنا الحكم لوجدنا أن الدراسة هي مكان لتعليم الأطفال، وهذا هو الجانب العادل فيها ولكن لعدم توفر الإمكانيات والجو الملائم فهذا هو الظلم بعينه بالنسبة له بشكل خاص، كونه من مواليد مدينة تقع في الكاريبي والذي يزخر بكل الثروات.

* - هناك من يكتبها بوغوتا، وحسب ما أورده عبد الله حمادي "بوقوصا"

¹ - بلينيوميندوتا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية الشعرية ص84

² - المرجع نفسه ص 86

ولأن الحل الوحيد بالنسبة له هو البقاء فيها لمواصلة دراسته في هذا الجو القاتم، وقد لجأ إلى المطالعة « فقد وجد ضالته المنشودة في الكتب وذلك هرباً من الواقع المتجهم، ففي مرقد الثانوية الشاسع تطالع الكتب بأصوات مرتفعة كتب: الجبل السحري*، الفرسان الثلاثة**، أحذب عذراء باريس***، وفي أيام الآحاد وتقاديا منه لمواجهة البرد وكآبة تلك المدينة... كان غابريال يفضل البقاء في مكتبة الثانوية يطالع روايات "خوليو فرني" و"سالفاري" والشعراء الاسبانيين والكولومبيين، والتي توجد قصائده الشعرية في كتب النصوص المدرسية»¹

مما يعني أن ماركيز لم يشعر بالراحة في هذه المدينة، ولكن يتحتم عليه البقاء فيها لإكمال تعليمه، ولتحمل ظروف هذه المدينة للوصول إلى هدفه جعل من الكتب رفيقا وخير أنيس له.

وقد بقي ماركيز في الثانوية متحملاً معاناتها إلى أن أنها دراسته الثانوية وبعد ذلك «التحق بالجامعة الوطنية في بوغوتا عاصمة كولومبيا»²، وذلك « للتخصص في القانون»³.

«وقد أنهى دراسته الحقوق ولكنه لم يزاوِل اختصاصه، إذ كان مولعا منذ البداية وهو على مقعد الدراسة بعالم السينما والأدب والصحافة»⁴، وقد كان ولعه بالأدب والصحافة واضحا منذ دخوله إلى الثانوية بدليل أنه كان يطلع على العديد من الأعمال الأدبية لأبرز كتاب قارته.

وفي هذا يضيف "عبد الله حمادي": بأن «الشعر بقي يحتل أولى اهتماماته في الحياة، فكان عوض أن يقرأ القوانين يطالع الشعر»⁵، حيث اعترف ماركيز بذلك قائلا «... الشيء

* الجبل السحري: هي رواية ألمانية لتوماس مان نشرت عام 1924 م وأهم رواية كلاسيكية في الأدب الألماني في القرن العشرين

** الفرسان الثلاثة: هي من أشهر كتب ألكسندر دوما. alixandre .d

*** أحذب عذراء باريس: هي رواية من تأليف فيكتور هوغو.

¹ - بلينيوميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 86.

² - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجاً". ص 174.

³ - بلينيوميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 87.

⁴ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجاً". ص 174.

⁵ - بلينيوميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 88.

الوحيد الذي أفعله هو مطالعة الشعر والشعر فحسب، بعدها أروح لأتسكع في المقاهي المكفهرة بالمدينة القديمة، بحثاً عن أحد يتصدق علي بشيء من وقته لأناقشه حول موضوعات الشعر التي أوشكت عن إنهاء مطالعتها»¹.

مما يعني أن نظامه الدراسي كان على درجة كبيرة من التناقض كونه يزاوّل الدراسة في تخصص ويهتم بتخصص آخر بعيداً كل البعد عنه، وبدل أن يهتم بتخصصه الأول ليكتسب كما هائلاً من المعلومات فيه اهتم بالكتابات الشعرية في قارته.

وقد امتد اهتمام ماركيز بالأعمال الشعرية إلى الاهتمام بالأعمال الروائية، وقد كان اهتمامه بهذه الأعمال « منذ أن قرأ رواية المسخ لكافكا* »، فهذه الرواية ألهمته ليصبح كاتباً. « وفي العشرين من عمره عاد إلى الساحل وبالتحديد إلى مدينة قرطاجنة ... هناك وجد من جديد النور وحر الكاريبي كما حصل على عمل في هيئة تحرير لصحيفة التحرير "العالم" وذلك لتحرير بيانات، وأثناء عمله كان يجد متسعاً من الوقت لكتابة القصص.»² فبعد معاناته في مدينة بوغوتا بعد أن أكمل دراسته آن له الأوان لأن يعود من جديد إلى الكاريبي الذي كان يتميز بمناخ مختلف عن مناخ بوغوتا وبعد أن مجرد طالب انتقل إلى الحياة العملية فعمل صحفياً وقد كان يقوم بنشر بيانات في صحيفة "العالم" إلى جانب عمله على نشر قصائد في مجلة " المدرسة للشباب " 1940 « كما نشر في صحيفة الاسبكتادور " elespectador الكولومبية سلسلة من القصص بعنوان " غرباء الموز " عام 1955 »³.

«بعدها انتقل إلى أوروبا وجاب كثيراً من بلدان العالم أهمها روما وباريس عام 1960»⁴. وقد بدأ العمل كمراسل لصحيفة اليونيفارسال»⁵ كتب حينئذ روايته " ليس للكولونيل من يكاثبه " « وبعد المدة الطويلة التي قضاها في أوروبا عاد من جديد برانكويا

¹ - المرجع السابق، ص 88.

* - رواية المسخ لكافكا : هي رواية قصيرة كتبها الروائي الألماني فرانز كافكا، نشرت لأول مرة عام 1915م، وقد وصفها النقاد بأنها أحد الأعمال القليلة الرائعة، وأحد أفضل الأعمال في الخيال الشعري المكتوبة في القرن العشرين. تحكي قصة التاجر المسافر جريغور سامسا الذي يستيقظ من نومه ليجد نفسه قد تحول إلى حشرة بشعة.

² - بلينيوميندوتا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 89.

³ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة"، لغابريال غارسيا ماركيز. ص 38.

⁴ - غبريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا. ص 05.

⁵ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة"، لغابريال غارسيا ماركيز. ص 38.

ليصبح كاتب عمود ومراسل لصحيفة الهيرالدو»¹. كما أنه «أقام في مكسيكو (المكسيك) وكتب عدة سيناريوهات سينمائية، كما كتب رائعته " مئة عام من العزلة " 1967، والتي نبهت العالم إليه ككاتب متميز وقد ترجمت إلى 32 لغة في العالم، بل فجرت اهتماما استثنائيا بأدب أمريكا اللاتينية ككل »²، وبهذا يكون قد حقق رغبته بعد أن كان شغوبا ومولعا بعالم السينما والأدب والصحافة فقد كان له الحظ أن كتب في كل هذه المجالات.

وبعد هذا عاد من جديد الى أوروبا حيث أنه « غادر إلى برشلونة وعاش لمدة عشر سنوات وهناك يكتب روايته خريف البطريق»³ وهذا عن حياته المهنية، أما حياته العائلية فقد « تزوج عام 1958 من " مرسيدس بارشا " ورزق بابنه الأول " رودريجو " عام 1959 الذي أصبح فيما بعد مخرجا سينمائيا، ثم انتقل إلى المكسيك واستقر بها ورزق بابنه الثاني " جونالتو " بعد ثلاث سنوات والذي يعمل حاليا مصمما بمسقط رأسه»⁴ أما عن قيمته وسط مجتمعه ومحيطه فقد «أدت شعبية كتاباته إلى تكوينه صداقات عدة مع الزعماء منها الرئيس الكوبي السابق فيدال كاسترو " f.castro " ومع الزعيم الفلسطيني الراحل

"ياسر عرفات"»⁵

مما يعني أن أعماله لاقت ترحيبا كبيرا وقد ذاع صيتها وقد اغترفها أغلب المهتمين بهذه الأعمال الأدبية

3- وفاته:

ولكن ماركيز بعد كل هذه الإنجازات إلا أنه مر بمرحلة عصيبة فقد أصيب بسرطان الغدد اللمفاوية عام 1999 وقد صرح في مقابلة صحفية ببوغوتا « خضعت لعلاج مكثف لسرطان الغدد اللمفاوية خلال ثلاث شهور وقمت بتلقي العلاج الكيميائي في مستشفى لوس أنجلس هذا كان حجر عثرة في حياتي، لقد خفظت علاقاتي مع أصدقائي وألغيت رحلاتي وجميع التزاماتي وانتهى من كتابة مذكراتي " عشت لأروي " واكتفيت بالزيارات السنوية

¹ - المرجع نفسه ص 38

² - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، ص 05

³ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجا" ص 175

⁴ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة"، لغابريال غارسيا ماركيز، ص 38

⁵ - المرجع السابق ص 38

واتباع نظام غذائي بسيط وفي غضون ذلك عدت إلى الصحافة ومتعتي المفضلة لسماع الموسيقى والقراءة»¹

وقد استمرت معاناة ماركيز وصراعه مع هذا المرض الخبيث إلى أن وافته المنية في السابع عشر من شهر أبريل 2014

4- علاقته بعائلته:

يعترف ماركيز في حواراته التي أجراها مع صديقه بلينيوميندوثا * p.MENDOZA بأن علاقته مع عائلته وطيدة ووثيقة إلى أبعد حد، ولكن كانت درجة تعلقه بهم وتواصله معهم على درجة من التفاوت والاختلاف فقد كان كل فرد من العائلة يحظى بمكانة ومرتبة تختلف عن مرتبة شخص آخر، وهو ما سنفصل الحديث عنه في العنصر الموالي .

أ - علاقته بجده :

تأثر ماركيز أشد تأثر بجده " ترانكيلينا " وقد كانت علاقته معها أكثر من علاقة الأم بابنها، فقد كان لها الدور الفعال في تربيته والاعتناء به، لكونه ترعرع منذ صغره في بيتها بعد أن تركه أبواه تحت رعايتها ومسؤوليتها ولم يقتصر دورها على تربيته فقط وإنما حتى على كتاباته حتى أنه يقول في هذا الشأن: «استقدت في المقام الأول من جدتي التي كانت تقص علي أكثر الأشياء فظاعة دون أن تتأثر وكأنها تحكي عن شيء رأيته قبل قليل، وقد اكتشفت أن الطريقة الهادئة والثراء في الصور هو الذي يهم بإخفاء مصداقية على حكايتها وقد كتبت رواية "مائة عام من العزلة" باستخدام منهج جدتي بالحكي»²

¹ - المرجع نفسه ص 38

* - بلينيو ميندوثا : هو صحفي قدير من كولومبيا وهو صديق ماركيز منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة، ينتمي الى عالم ماكوندو، جاء الى الحياة عام 1932م في قرية تونجا بكولومبيا، تقلب في مهام عديدة اهمها :اشرافه بفنزويلا على تفسير مجلتي "تخبة" و " لحظة"، اما في بلده فقد اشرف على مجلتي " الحركة الحرة" و "لقاء"، اما خارج القارة الامريكية كان يدير مجلة "الحر" بفرنسا له رواية الهارب من " الجنديّة" وهو صاحب كتاب غرسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ترجمها عبد الله حمادي.

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص ص 266-267

مما يعني أن ماركيز يعتبر جدته مصدر إلهامه الأول والرئيسي كونه استمد روحها وطريقتها غير العادية في قصصها للحكايات كما لو كانت أمرا طبيعيا تماما، وقد كانت رائعته "مائة عام من العزلة" خير دليل على ذلك.

ب - علاقته بجده:

أما عن علاقة ماركيز بجده فإنه على حد التعبير "عبد الله حمادي" ومن دون أدنى شك أن « الشخصية الأكثر أهمية في ذلك البيت هو جد غابريال »¹ فقد كان يحظى على قدر كبير من الاهتمام والمحبة التي يكنها له، وفي هذا يضيف "حامد أبو أحمد": « حيث يحكي ماركيز عندما كان في عمره خمس سنوات ربطت بينه وبين جده صداقة فريدة من نوعها »² مما يعني أن العلاقة بين ماركيز وجده كانت وثيقة جدا لكونه على اتصال وتواصل دائمين منذ نعومة أظافره، فقد كان يلعب دور الجد والأب والصديق دفعة واحدة.

ومما يذكره ماركيز عن جده «أنه كان يأخذه معه في كثير من الأحيان في الصباح إلى المزارع كي يستحم في المجاري المائية التي كانت تهبط من الهضبة وكان جده مثل معظم أفراد الأسرة. - وكلهن نسوة- يعيش ذكريات وأهداف مضت فكان يتحدث دائما الحروب الأهلية وعن المدافع التي تجرها البغال وأعمال الحصار... وكان جده بدوره يستمع إلى حديثه وبوليه من الأهمية ما لا يمكن أن يحدث بين شخص طاعن في السن وطفل صغير، فقد كان يستمع إليه بانتباه ويرد على أسئلته»³

مما يعني أنه على قدر تعلقه بجدته كان تعلقه بجده أكبر بكثير، حيث أنه كان يخرج معه للفسحة والتعرف على المدينة أكثر، إلى جانب حكاياته معه والتي كانت تدور حول الحروب الأهلية وما مرت به المدينة من ظروف قاسية والتي سبق وإن قلنا بأنه كان حاضرا ومشاركا فيها وإن منفعة حكايات في مثل هذه المواضيع كانت تعليمه وإطلاعه على تاريخ المدينة. حتى أن العلاقة لم تعد كعلاقة أي شخص كبير مع طفل صغير. ونجد أن ماركيز

¹ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص33.

² - المرجع نفسه. ص 268.

³ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية. ص269.

يعترف بذلك قائلا: «...إن ذكرياتي الأكثر نبضا والأكثر دواما تلك المتعلقة بالأشخاص، بل هي ذكرى ذلك البيت بأركاتاكا أين ترعرعت مع جدي...»¹

وقد لاحظ ماركيز الفرق الشاسع بين جده وجدته وما تعلمه من كل واحد منهما فيقول: « أما علاقتي بجدي فهي عكس ذلك ،أنه بالنسبة لي ثقتي التامة في علم الجدة اللاتقة فيه، فمعه فقط يختفي ذلك الهلع، وعندها أحس بقدمي على الأرض وأشعر بثباتي على أرضية الواقع »².

بمعنى أن ماركيز لاحظ أن عالم جدته وقصصها تختلف تماما عن قصص وحكايات جده، على اعتباره أن جدته كانت قصص خرافية غريبة تشعره بالخوف وتذهب إحساسي بالأمان والطمأنينة، بينما كان جده يحكي له قصصا على درجة كبيرة من الواقعية بل هي حقائق ترسخت في ذاكرته كذكريات الحروب وغيرها، وهي ما تزيده معرفة عن مدينته وعن تاريخها ،كما أن مثل هذه الحكايات عن الوطن لا تزيد المستمع إلا وطنية أكبر، ولهذا تمنى ماركيز أن يكون شبها لجده حيث يقول : « ومن منطلق مفهومي اليوم فإنني كنت دائما أتمنى أن أكون كجدي واقعي وشجاع وواثق من نفسه »³.

أي أنه يرى في جده مثلا أعلى وقدوة حسنة ومن الأجدر أن يقتدي به كونه واقعا فهو لا يحكي قصصا خرافية مخيفة بل يحكي عن أمور وحقائق تاريخية إلى جانب كونه شجاعا وواثقا من نفسه بدليل مشاركاته المستمرة في الحروب الأهلية.

وخير دليل على تعلق ماركيز بجده الكولونيل هو ما أورده "حامد أبو أحمد" يقول :« لكن الذي حدث هو أن هذا الجد الأليف توفي عندما كان غابرييل ثماني سنوات من العمر، وقد كانت تلك اللحظة هي نهاية مرحلة طفولته الأولى، ونهاية إقامته في أركاتاكا التي غادرها من أجل الدراسة ولم يزرها بعد ذلك إلا لماما »⁴، أي أن هذا الجد لم يلبث أن غادر إلى الأبد تاركا وراءه ذلك الطفل الصغير الذي كان متعلقا به أشد التعلق ولشدة تأثر ماركيز

¹ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص43.

² - المرجع السابق، ص 44.

³ - المرجع نفسه، ص 44.

⁴ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص269

أي أن هذ الجد لم يلبث أن غادر إلى الأبد تاركا وراءه ذلك الطفل الصغير الذي كان متعلقا به أشد التعلق، ولشدة تأثر ماركيز بأمر وفاة جده حتى أنه اعتبر ذلك بمثابة نقطة نهاية من مرحلة لينتقل إلى مرحلة أخرى، بمعنى أن وفاة جده يعتبر نهاية لطفولته وبداية لمرحلة ثانية، كونه لن يكون معه جنب إلى جنب بعد الآن وهو ما يحتم عليه تحمل مسؤولية نفسه بنفسه، وإلى جانب كون هذا بمثابة نهاية مرحلة طفولته هي أيضا آخر فترة يسكن فيها في هذه المدينة بعد الآن.

ج- علاقته بأمه:

يقر ماركيز بأن علاقته بأمه رغم حبه لها وتواصله معها إلا انها كانت على حد كبير من الاختلاف وبعد علاقته بجده وفي هذا يقول: « قدر علاقتي مع والدتي منذ طفولتي كان يتسم بالجدية ولربما العلاقة الوحيدة الجادة التي عرفتها في حياتي، كما أعتقد أنه لم يوجد شيء بيني وبينها لم نكن نتحدث فيه ولا شيء غير ممكن التماور فيه ولكننا نقول ذلك تقريبا ليس فقط بكتمان ضيق بل ببعض الصرامة التي بالإمكان اعتبارها كرسميات...»¹

بمعنى أن ماركيز يعترف بأنه كان على علاقة جيدة نوعا ما مع أمه، لكن هذه العلاقة كانت تتميز بالجدية والتعامل بطريقة بروتوكولية ورسمية إلى أبعد حد مع نوع من الصرامة في التعامل رغم كونها والدته، ولكن تعامله برسمية معها لا يعني بالضرورة عدم الحديث بل على العكس فقد كان يتماوران في أي شيء يخطر ببالهما، لكن الأكيد في الأمر أن وراء هذا التعامل سببا يفسر ذلك، وقد قدم ماركيز هذا السبب بقوله: «...والسبب في ذلك لربما يرجع إلى كوني بدأت حياتي معها ومع والدي لما أصبحت على درجة من الوعي»² بمعنى أنه لم يتزعزع منذ ولدته إلى جانبها بل عاش بعيدا عنها لسنوات عديدة فقد أمضى مرحلة الطفولة والمراهقة في بيت جديه وفترة شبابه في الثانوية والجامعة وبالتالي تكون لقاءاته معها قليلة جدا وهو ما جعله يحن إلى جدته أكثر مما يحن إليها .

¹ - بلينيو ميندوتا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 48.

² - المرجع نفسه، ص 48.

د - علاقته بوالده:

لم تكن علاقة ماركيز بوالده كعلاقة أي طفل بوالده، بل كانت عكس ذلك فهي كانت علاقة سطحية إلى أبعد حد، بل وتختلف أشد الاختلاف عن علاقته بجده لدرجة أن صديقه "بيلينيو ميندوثا" لاحظ هذه العلاقة بينهما حتى أنه أفصح له برأيه قائلاً : «أنت لا تتحدث عن والدك قط ¹» مما يعني أن علاقته بوالده ليست علاقة ابن بأبيه بل دليل عدم ذكره أبداً أو الحديث في سيرته، وقد لاحظ والده انحياز ابنه إلى كفة والدته بل ولامه على ذلك وفي هذا كان يقول ماركيز «... كان يلومني لأنني أتحدث عن علاقتي بوالدتي ولما أذكره فالحق معه» ² وقد قدم ماركيز هذه السطحية في علاقته بوالده قائلاً «... لكن السبب الحقيقي لعدم ذكره مرده إلى معرفتي القليلة به فهو أقل كثيراً من معرفتي بوالدتي» ³

أي أنه بعد أن انتقل للعيش في بيت والده كانت أمه هي الأقرب إليه مقارنة بأبيه، وبالتالي فإن احتكاك الابن مع أمه جعلها الأقرب إليه، ولكن ومع مرور الوقت تطورت العلاقة بين الابن وأبيه وأصبحت تتميز بنوع من التواصل والتفاهم فيما بينهما، ويقول ماركيز في هذا : «... عاد ليستقر بيننا تفاهم متبادل واضح أن لي ما يوضح سبب ذلك التحيز، فلما توصلت أن أعيش مع والدي وأنا في سن الثامنة كان لي حينئذ حس ثابت بمعنى الأبوة وهو تصور جدي، فوالدي ليس فقط يختلف عن جدي بل نقيضه تماماً من حيث طبعه في التحكم ونظرته الشاملة للحياة... فقد كانت صرامته تبدو لي وكأنه عدم تفهمه لي» ⁴. فبعد أن قضى ماركيز طفولته في بيت جديه وبعد وفاة جده رحل تاركاً بيت جديه ليعيش مع والديه

نجد أن ماركيز من خلال عبارة " فلما توصلت " أنه يبين أنه لدي عدم رغبته في العيش مع والديه لكن الظروف وهي وفاة جده حتمت حدوث ذلك وكأنه شخص مجبر على فعل ذلك، إضافة إلى هذا فقد وجد أن والده يختلف عن جده تماماً، فجده كما سبق وأن ذكرنا ذلك بأنه كان شجاعاً ووثاقاً من نفسه إلى جانب بساطته في التعامل مع ماركيز ومحاورته

¹ - المرجع السابق، ص 51.

² - المرجع نفسه، ص 51.

³ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية. ص 270.

⁴ - المرجع نفسه، ص 270.

رغم صغر سنه، لكن ذلك لدى إلى تفاعله معه بدليل أنه يقول: « الكولونيل نيكولاس ريكاردو ماركيز ميخيا، والذي هو اسمه الكامل ربما يعتبر الشخص الوحيد الذي تمكنت من فهمه أكثر والذي التمتست التجاوب الذي لم ألقاه عند غيره قط... »¹ بينما والده الذي كان صارما وهذه الصرامة ستكون حاجزا بين الابن ووالده والتي من المفروض أن لا تكون بينهما صرامة تصل أنها تكون حاجزا بينهما بل المفروض هو التواضع معه لكسر ذلك الحاجز الذي بدا لماركيز بأنه عدم تجاوبه وتفهمه له.

هـ - علاقته بزوجته:

كما لم ينسى ماركيز أن يتحدث عن علاقته بزوجته " مارسيدس " انطلاقا من اللحظة التي تعرف عليها مروراً بفترة زواجه منها، أما فيما يخص علاقتهما مع بعض خاصة بعد الزواج فيقول ماركيز حول هذا في إحدى محاوراته مع " ميندوثا " : « ها نحن اليوم على مشارف بلوغ خمس وعشرين سنة على زواجنا، ولم نعرف طوال هذه المدة لحظة توتر حادة بيننا والسر في ذلك على ما اعتقد أننا ظللنا نفهم الأشياء بنفس الطريقة التي كنا نفهم بها قبل زواجنا »²

مما يعني أن صراع دائم معها ولا توجد بينهما لفترة طويلة، ولكن ما يفسر هذه العلاقة هي علاقة أخرى وهي أنها يتعاملان معاملة ليس كمعاملة زوج لزوجته أو العكس بل كانا يتعاملان معاملة شخصين تعرفا على بعضهما للتو، وبالتالي فهي معاملة رسمية وعكس المفروض أن يكون كون الزواج هو ما يوطد العلاقة بين الزوجين وهو ما يدل على قيمتها بالنسبة له

وما يثبت صحة هذا هي إجابته على سؤال وكان قد طرحه فيما إذا كانت هناك شخصية من أبطال روايته مستوحاة منها قائلا: « لا أحد من أبطال يشبه مرسيدس ففي المرتين اللتين تظهر خلالهما في "مائة عام من العزلة" كانت ذاتها باسمها الحقيقي وبحرفة الصيدلة ومثل ذلك يحدث مرتين في رواية "حادث ميتة معلنّة" لم أتمكن من استغلالها أدبيا أبعد من هذا الحد من أجل حقيقة مفادها أنني كنت أخشى أن تفهم كربة مني لإبرازها لكنه

¹ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 44.

² - المرجع السابق، ص 54.

غير ذلك فهي الحقيقة أنني توصلت إلى تفهمها لدرجة أنني لم أعد أعرف كيف هي»¹ بمعنى أن ماركيز رغم أنه استوحى شخصيته في عمليين روائيين بلغا درجة كبيرة من الشهرة لكن هذا لا يعني أنها تعني له الكثير بدليل أن دورها الروايات جاء كشخصية ثانوية لا غير وهو يبرز قيمتها كما أن معاملته التي أقر بأنها معاملة مخطوبين فقط أدت إلى وجود حاجز بينهما، وهو ما أدى إلى عدم فهمه ومعرفته له عكس الذي كان من الواجب حدوثه، علما أنه بعد الوالدين لا يوجد أقرب من الزوج إلى زوجته، هذا فيما ما ورد عن علاقة ماركيز مع عائلته، هو ما يبرز ما سبق وأن تحدثنا عنه في البداية وهو أن علاقته بعائلته على درجة كبيرة من التفاوت فالعلاقة الوطيدة والأكثر وضوحا تتمظهر من خلال علاقته مع جديه فهما أهم شخصين مقارنة بقيمة أمه وأبيه وعلاقته مع هذين الأخيرين على حد كبير من التفاوت مع علاقته بزوجته، ولعل هذه الخلاصة سنجد بوادرها وملاحها في عناصر موالية كبداية حياته الأدبية وغيرها .

ثانيا/ بداية حياة ماركيز الأدبية :

يهتم كثيرا بالكتابات الأدبية بل ومولعا بقراءة الشعر رغم كونه ليس من اختصاصه، لكن فيما يخص تأليفه للكتب لم يكن بالحسبان بل عكس ذلك فقد «بدأ يكتب بالصدفة، وربما كان الحافز من وراء ذلك هو أن يبرهن لصديقه جيل ماركيز قادر على إنجاب كتاب وبعدها»²، أي أن ماركيز لم يتخذ منذ البداية قرارا حاسما لكتابة أي شيء وقد اقتصر الأمر على وجود على رغبة بداخله لفعل ذلك، وفي هذا يقول "عبد الله حمادي" على لسانه: «... كما أنه دون أن يشعر وجد نفسه قد سقط في الشرك مواصلة الكتابة عن رغبة، وهذه اللحظة هي ما جعلته يقع في الشرك الثاني حيث تعين له أن لا شيء يعجبه في هذا العالم كالكتابة»³ أي أن بداية ماركيز في الكتابة جاءت متسلسلة، حيث بدأ بمجرد تحديه لأصدقائه بأنه قادر على فعل ذلك وهذا أدى إلى وجود رغبة في داخله لفعل ذلك وهذا ما أدى إلى قراره الحاسم الذي شك في أن الكتابة هي أحسن شيء يمكن فعله .

¹ - بلينيوميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 54.

² - المرجع السابق، ص 54.

³ - المرجع نفسه، ص 54.

وفي الحديث عن بداية حياة ماركيز الأدبية العملية الأدبية والجادة يقر "عبد الله حمادي" بأنها «بدأت منذ عام 1947 وهي السنة التي شرع فيها بنشر مراسلاته الصحيفة في جريدة "المتفرج" بالعاصمة "بوقوتا" وقد برزت من بين مراسلاته لهذه الصحيفة مراسلة تتعلق بغريق ... فكانت مراسلة هذه بمثابة إشارة تنبيه لعبقريته التي تكمن بين طيات أسطر واقعية لمقال تحت عنوان " الحقيقة حول مغامراتي" ¹ أي أن ماركيز بدأ لأول مرة بالكتابة الصحفية والتي كانت عبارة عن مراسلات ينشرها في الجرائد وإن حادثة الغريق هذه التي كانت بمثابة دافع لكتابة مقالاته وتتمثل في أنه تعرض في مرة من المرات فيما هو يقوم برحلة لحادثة غرق دامت عشرة أيام بين أمواج المحيط الأطلسي وقد جسد هذه الحادثة في مقال يبين بأن عمله هذا بمثابة مغامرة .

وإلى جانب هذه المقالة التي كتبها بفعل تأثير هذه الحادثة يقر "عبد الله حمادي" مرة أخرى بأنه: « استفاد منها لبناء قصته المشهورة " الغريق" * والتي يعتبرها الكثير من النقاد كفاتحة في عالم فن القصة القصيرة وكعمل متكامل لا مجال فيه للطعن، بحيث أننا نجد ماركيز يسخر فيها بالإضافة إلى الوثائق المادية الواقعية تشكيلا خياليا من نوع خاص، وهو ما يصبح فيما بعد من خصائص ماركيز الأساسية في بناء كل أعماله الروائية والتي ستمنحه لقب رائد "الواقعية السحرية أو الأسطورية" ²»

يعني أن حادثة واحدة في حياته كانت سببا في تأليفه للعديد من الروايات وهو ما يؤكد على أن ماركيز ينطلق من واقعه، أي أنه يبني الأحداث الروائية انطلاقا من حقائق مبنية على أسس واقعية، لكن تأثير حكايات جدته يبقى مستمرا بدليل أنه إلى جانب هذه الحقائق نجد أنه يمزجها بغلاف أسطوري سحري وهي الصبغة التي ستغلب على كل أعماله وهو ما جعله يستحق لقب رائد "الواقعية السحرية" التي تعتبر هذه الصبغة أهم دلالاتها .

ولكنه بعد ظهور رواية " خريف البطريق " اتخذ موقفا مغايرا فقد « أعلن عن انقطاعه عن مواصلة استنطاق الواقعية السحرية واعتبر أن الإضراب عن مواصلة الكتابة فيها يعتبر

¹ - بلينيوميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص 59.

* - قصة الغريق: تحكي هذه القصة مأساة رجل يصارع الموج في عرض البحر على طوف من الخشب القاسي لمدة عشرة أيام وبدون طعام أو ماء ولكن تتغير الأحداث فجأة بعد أن يصل إلى البر ويعلن بطلا قوميا.

² - المرجع نفسه، ص 12.

من المواقف النضالية الشجاعة، فصوب احتجاجه عامة على اضطهاد الإرهاب الذي تثبته الدكتاتورية في أمريكا اللاتينية عامة وعلى وجه الخصوص نظام بينوشيت في الشيلي»¹ بمعنى أن ماركيز يرى بأن كتابته في الواقعية السحرية هو أمر لا يتماشى مع الوضع الذي تمر به أمريكا اللاتينية من قمع وعنف وتقتيل للأبرياء وكان المفروض هو أن يقدم كتابات في شكل احتجاجات على الوضع السائد آنذاك لكن إرضاء الناس غاية لا تدرك لأن ما فعله ماركيز فسر البعض على أنه ضعف وعجز منه حيث أن هذا الموقف "عبد الله حمادي" «تمثله العديد من عشاق فنه كإحباط وفسره المناوؤون بأنه نقص اعتراه بحكم استهلاكه لطاقاته التي استنزفها في كل من "مئة عام من العزلة" و "خريف الملك"»² أي أن المعجبين بكتاباته كان الموقف الذي اتخذه بعدم استمراره في استنطاق الواقعية السحرية بمثابة أمر مؤسف كونه كان يتمتع بكتاباته، بينما المعارضون له رأوا بأن ذلك ناتج عن ضعفه في الاستمرار في الكتابة مثل هذا النوع من الكتابات، وأن قدرته اقتصرت على كتابة عمليين لا أكثر وأن هذان الموقفان كانا بمثابة حافز جعله يعود من جديد لما اعتاد كتابته، وبهذا «قرر أن يعود لإمتاع قرائه بسحريته الواقعية»³، وهو ما جعله يرضي من جهة متابعيه والمعجبون به ويبرهن لمناقضيه على قدرته على الكتابة وأنه قادر على تجاوز ما أنجزه «فرد على مثل هذه الإدعاءات المفروضة بآخر عمل روائي له وهو "حادث ميتة معلنه" الصادر عام 1981، ثم واكب صدورها ثلاث أجزاء لكل أعماله الصحفية، فجاء الجزء الأول تحت عنوان "مقالات ساحلية"، أما الجزء الثاني "بين الطعنات" والجزء الثالث "من أوروبا إلى أمريكا"⁴.

1- أعمال ماركيز:

إن اهتمام ماركيز بعالم السينما والصحافة والأدب واطلاعه على كم هائل من الأعمال في كل هذه المجالات هو ما جعل ماركيز «يمتاز بنشاطه الوافر في كتابات السيناريوهات والتحقيقات الصحفية ذات الطابع الشعري، رغم أن مواضيعها سياسية، كما كتب ملاحظات

¹ - المرجع نفسه، ص 13.

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - المرجع السابق، ص 14.

⁴ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجاً". ص 177.

نقدية حول الاتجاهات الأدبية في القارة في شكل حوارات فكرية وأدبية بين النقاد والروائيين وبالإضافة إلى القصص القصيرة»¹.

مما يعني أنه بقدر الكتب والأعمال الأدبية التي طلعتها عليها كانت له الفرصة أن يحظى بقدرة هائلة على الكتابة في كل المجالات التي كان مولعا بها، ولعل أول بداياته في الكتابة بدأت بنشره لمراسلته تحت عنوان " الحقيقة حول مغامراتي " السالفة الذكر « كأم كتب رواية بعنوان " أوراق ذاوية " الصادرة عام 1955، وكتب روايته القصيرة "ليس هناك من أحد يكاتب الكولونيل" عام 1961² والرواية الأولى تعرف أيضا "بالأوراق المتساقطة" حسب الترجمات وهو الشيء نفسه بالنسبة للرواية الأخرى، فهي تعرف أيضا " ليس للكولونيل من يكاتبه " فقط قضية ترجمة لا أكثر.

إضافة إلى أن له « كتاب بعنوان "جنازة الأم الكبيرة" وهي أهم القصص القصيرة في الكتاب»³ فهذا كتاب استقى عنوانه من قصة قصيرة يتضمنها الكتاب الذي يحتوي إلى جانب هذه القصة على سبع قصص أخرى وهي " قيلولة الثلاثاء 1948 " و " قصة يوم من هذه الأيام " و " ليس في هذه البلدة لصوص " و " احتضان بنصر بالتاسار "، " أرملة مونتييل"، " يوم واحد بعد السبت "، " الورد الاصطناعي " كما صدرت اثنتا عشر قصة قصيرة في كتاب بعنوان " ايريندايرا البريئة " ومنها قصة " الاستقالة الثالثة 1948"، "الجانب الآخر للموت 1949"، " ايفا داخل قطعتها 1948 "، " حوار من امرأة 1949"⁴ إلى جانب هذه الأعمال له أيضا « في ساعة نحس 1961 "، ومجموعة قصصية أخرى بعنوان " عيون الكلب الأزرق "، والوقائع الغريبة والحزينة لايرينديرا الطيبة وجدتها الشريرة 1972⁵»

¹ - المرجع نفسه، ص 177.

² - سيزار سيجر، استدارة الزمن عند ماركيز ترجمة اعتدال عثمان مجلة فصول. مجلة النقد الأدبي تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب العدد 03. مكتبة ودار النشر أبو الهول القاهرة مصر. 1926 م. ص 78.

³ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجا". ص 177.

⁴ - المرجع نفسه. ص 177.

⁵ - بلينيوميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص ص 12-13.

كما كتب ماركيز أيضا « روايته مئة عام من العزلة 1967، والتي تعد من أهم الأعمال الروائية في أدب أمريكا اللاتينية المعاصر»¹ « كما كتب رواية خريف البطريق»² ورواية «المرأة التي جاءت على الساعة السادسة 1959، و"أحدهم كان يفسد ترتيب هذه الوردة" 1952، ليلة الكروان 1953» «بحر الزمن المفقود 1961، المتربص وراء الحب، وقصة قصيرة " ليل الكورتيس "وهي من أوائل القصة القصيرة، أما القصتان القصيرتان "أجمل رجل غريق في العالم والعجوز بأجنحته الكبيرة فإنهما صدرتا عام 1967 وفي نفس السنة كتب قصة " بلاك مان البائع الجيد للمنجزات " والرحلة الأخيرة مع شبح السفينة، أما " نابو " فإنها صدرت عام 1951 وتلتها عام 1959 مونولوج إزابيل المستيقظة وهي تمطر في ماكوندو»³.

أما عن كتاباته الروائية فقد كانت بداياته من خلال رواية " عاصفة الأوراق 1955، وهي من الروايات القصيرة تلتها رواية مماثلة الحجم بعنوان الساعة المشؤومة عام 1961 وأطلس أمريكا اللاتينية في القرن العشرين إلى جانب هذه الأعمال نجد «رواية الحب وشياطين أخرى، والجنرال في متاهة، ورواية "يوم من الأيام" و"أشباه أغسطس"، و"الجمال النائم"، "الموت أقوى من الحب" و، "بائعة الورد"، "ثمن عشرين قتيلًا"، وعشت لأروي»⁴ وإن أغلب هذه الروايات توجد في نسخ إلكترونية فقط والتي عمل صالح علماني على ترجمة العديد منها وكذلك نجد «رواية الحب في زمن الكوليرا والتي تعتبر من أهم أعمال ماركيز»⁵.

إن المطلع على قائمة أعمال ماركيز نجد أن له كما هائلا من الأعمال النثرية القصصية والروائية، وقد لقيت كل أعماله إقبالا شديدا من طرف قرائه في القارة الأمريكية بل وحتى في العالم بأسره ولم تبق اللغة عائقا لذلك لأنها لا تظهر رواية أو قصة لهذا الكاتب إلا وظهرت لها ترجمة بكل اللغات .

¹ - سيزار سيجر، استدارة الزمن عند ماركيز. ص 78.

² - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا. ص 06.

³ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجا". ص ص 178-179.

⁴ - بلينيوميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص ص 12-13.

⁵ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا غلاف الكتاب.

وقد أوردت في هذا العنصر قائمة أعماله بطريقة بانورامية فقط أم عن أشهرها فسأخصها ببعض التفصيل بالحديث في العنصر الموالي في ما سأخص روايته الأخيرة "الحب في زمن الكوليرا" بالدراسة في الفصل الموالي .

أ/ رواية مائة عام من العزلة عام 1967 م:

هي رواية ألفها عام 1967 م وهي تعتبر أهم أعمال ماركيز التي تنتمي إلى تيار الواقعية السحرية والتي قال بها جائزة نوبل للآداب، ترجمت إلى أكثر من 32 لغة عالمية، يحكي لنا « في عمله هذا قصة قرية ماكوندو وهي إحدى القرى الصغيرة المنعزلة في كولومبيا، مستخدما بعض الحقب الزمنية (الزمن الأسطوري للغزاة) و(الزمن التاريخي للكولونيل) (أوريليانو بوينديا) ومعاركه...، ويتضح في هذا العمل المزج بين الخيال والواقع عن طريق مخيلته الفياضة التي استطاعت أن تعطي قصة القرية، الكولومبية الصغيرة شهرة عالمية»¹.

وقد وصف النقاد الرواية بالنعوت الكبيرة بل اعتبروها «تفوق كل رواية معاصرة ... وهو ما أدى إلى متابعة أعمال الروائي برمته، وقد استحشها النقاد للتفكير بجائزة نوبل، فالبعض يضعها في مرتبة الملحمة...»²، وقد اعتبرت الرواية أهم ما يمكن تسجيله ضمن تيار الواقعية السحرية لكونها تتميز باستخدامها للواقع السحري وأهم رواية في أدب القارة

ب/ خريف البطريق عام 1976:

تعتبر هذه الرواية من أشهر روايات ماركيز، وقد ترجمها "محمد علي اليوسفي" إلى العربية ويقول عنها: «إن هذه الرواية عبارة عن موسوعة تعج بأغاني الساحل الكولومبي وألحانه، حيواناته وأعشابها، طرائفه ومآسيه، قصص حب وهمية وحقائق دموية، سحر وتعاويز... وهي رواية يتجاوز بها ماركيز حدود أمريكا اللاتينية»³، أي أنه تناول قصة الحياة من شاطئ الكاريبي بكل ما فيه كما تناول فيها أيضا « الحب والكراهية والعادات والتقاليد، والثقافة والظلم والرحمة وسياسة وأساليب الحكم ... وحياة أسلافه وأحفاده

¹ - اوخينيو تشانجرودرجث، ثقافة وحضارة أمريكا لاتينية. ص 496.

² - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجا". ص184

³ - غابريال غارسيا ماركيز، خريف البطريق، ترجمة محمد علي يوسف. دار المدى للثقافة والنشر، دمشق /سوريا، ط2،

الديكتاتوريين الذين تتغير أسماؤهم وعصورهم ولا تتغير أساليبهم، وهم أربعة عشر ديكتاتور أظهرت صورتهم في الرواية مكررة صورته هو صورة البطريق (الملك) الذي اختاره ماركيز ليمثلهم جميعاً...¹، ومن هنا جاء عنوان الرواية.

هذا من جانب موضوع الرواية أما فيما يخص أسلوبها وقيمتها فنجد أن "محمد علي اليوسفي" يرى بأنها «أهم نص أدبي لهذا الكاتب، تمثلت فيه السيطرة على لغة قادرة على أن تتناول كل هذا الواقع اللاتيني الأمريكي الذي لا يمكن تصديقه»²، فهو يعترف بالقيمة الكبرى التي تحظى بها الرواية كونها جاءت بلغة استطاعت أن تلم بتاريخ القارة بأكملها، كما «استطاع ماركيز بفضل أسلوبه أن يحقق المشاهد العادية إلى مشاهد تصويرية»³.

ج/ قصة موت معلن عام 1981 م:

تدور أحداث هذه الرواية «حول مقتل بطل الرواية وبأسلوب دقيق يذكرنا بالعلاقات والأحداث التي دونها الغزاة في القرنين السادس عشر والسابع عشر»⁴.

حيث أن هذا الحادث حدث في جو من التأثير العائلي ومحاولة لاسترداد الشرف المفقود في جو لاتيني محافظ نوعاً ما «وقد خلق في هذه القصة تكافلاً دقيقاً بين القصة الأدبية والروبرتاج الصحفي»⁵، مما يعني أن زواج بين مجالين مختلفين نوعاً ما وهو مجال الصحافة ومجال الأدب، أي أنه كتب قصة في شكل روبرتاج صحفي.

د/ الجنرال في ماته عام 1989 م:

تعرف هذه الرواية بالجنرال في ماته، أو سيمون بوليفار نشرت عام 1989 م، وهي «رواية تاريخية تستلهم حياة السياسي والقائد الفنزويلي "سيمون بوليفار" (1783-1939م) وتصور هذه الرواية الأشهر السبع الأخيرة من حياة الجنرال»⁶، أي أن أحداثها تدور حول

¹ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة"، لغابريال غارسيا ماركيز، ص41

² - غابريال غارسيا ماركيز، خريف البطريق ص05

³ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 270

⁴ - أوكينيو تشانج رودريجث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية ص496

⁵ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب ... وشياطين أخرى، ترجمة وليد صالح. دار الشروق، مدريد، دط أكتوبر 1999م

القائد بوليفار الذي كان سببا في استقلال كولومبيا ويعرف الكاتب بأن هذا العمل «إنما هو مجازفة أقدم عليها لأن الحديث عن قائد من خلال الوثائق التاريخية التي تركها أعداء هذا الجنرال شيء لا يخلو من التعقيد»¹.

هـ/ قصص نادرة :

تضاف هذه الرواية إلى قائمة أهم أعمال ماركيز الروائية، تدور أحداثها في مدن أوروبية، ثم يخرج ماركيز عن خطة الروائي المعروف، إذ يجد قصصا تمت روايتها بأسلوب متقن وتخيم عليها أجواء ساحرة ومزاج ساخر ولاذع لتخلق شخصيات واقعية مذهشة»².

أي أن هذه الرواية يتم فيها مزج الواقع الطبيعي والعادي المعاش مع عناصر سحرية أسطورية، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى أن هذه الرواية تتطوي تحت تيار الواقعية السحرية، «يحاول الكاتب فيها عن الضعف الإنساني وبؤس الحياة، من خلال ما تتعرض له شخصياته من أمراض وموت ومع أن هناك بعض الأحداث يصعب على المرء تصديقها، فإنها لا تخرج عن روح الأدب وخاصة الأدب الذي يمس عالم الخيال، ثم إن نهايات القصص لأنهم كثيرا لان سردها وحبكتها وتطور الحدث فيها هو الذي يشد القارئ لأنه يعيش الحدث ويتمتع بلغة السرد اللذيذة والجميلة»³.

أي أن أحداث الرواية في الغالب يتغلب عليها السحر والغرابة مما يؤدي إلى عدم تصديق القارئ للأحداث ورغم عدم تصديق القارئ لهذه الأحداث فإن ذلك لا يمنعه من الاطلاع على الرواية لما تحظى به من أسلوب شيق وممتع يجعل القارئ يتلذذ بلغة السرد وطريقة تقديمه للأحداث كون الكاتب يقوم بعملية السرد التي تقوم على تطوير الأحداث تدريجيا وهو ما يشد القارئ ويجعله منبهرًا بها، أما فيما يخص رواية "الحب في زمن الكوليرا" فسننتحدث عنها في الفصل الموالي .

¹ - المرجع نفسه ص 10

² - المرجع نفسه ص 11

³ - المرجع السابق، ص 11.

2- جوائزه:

لا يخفى علينا بعد حديثنا عن الواقعية السحرية أن ماركيز ليس وحيدا في هذا المجال الرحب، بل هناك أسماء لامعة سبقت الإشارة إليهم، وقد كان رائد هذه النخبة من الشباب والكهول الذين يتربعون على عرش الرواية العالمية هو الشاعر والقصاص الأرجنتيني "خورخي بورخيس" الذي ينعتة النقاد برائد المسيرة الأدبية أو هوميروس المجموعة وإلى جانب هؤلاء نجد أسماء أخرى "كبارجاس يوسا" من البيرو، و"آستورياس بقواتيمالا" و"أوكتافيو باث" بالمكسيك و"أونيتي" بالأرجواي و"كاربينتير" الكوبي وغيرهم.

وعن هؤلاء يقول "عبد الله حمادي": «إن من هذا الحشد برز بريق الاستياء حين ظهر اسم ماركيز على قائمة النوبل، لا لأنه ليس أهلا لها، بل كما يقول الروائي الكبير "ماريو أونيتي": «ترى هل ستضيف شيئا من الشهرة والوجاهة جائزة نوبل إلى ماركيز؟ الجواب طبعا لا، بل العكس هو الأصح لأول مرة توفق الجائزة في اختيار وليها»¹.

وقد نال ماركيز جائزة نوبل للآداب حين «أقرت الأكاديمية السويدية يوم الخميس 21 أكتوبر عام 1982 م، ومنحته الجائزة لكنها رافقت هذا الإعلان الذي افرح الكثيرين وأساء القلائل»، مما يعني أن نيل ماركيز كان مفرحا للبعض ولكنه كان مصدرا حزن وأسف للبعض الآخر ولكن أسف هؤلاء ليس لكونه ليس جديرا بها وإنما يرون بأنها أقل ما يمكن أن يكرم به وهو الشيء نفسه الذي قدمه "عبد الله حمادي" وهو أن «الأغلبية رأوا بأن لجنة التحكيم والأكاديمية التي قدمت له الجائزة لا يرجع لهما الفضل في اكتشاف الروائي الكولومبي لان ماركيز بجدارته التي يشهد لها الكل حقق ذلك بطريقته الشخصية»².

مما يعني أن اغلب النقاد والكتاب بل وحتى القراء يعترفون بالمكانة الرفيعة التي يحتلها ماركيز وعن جدارته التي يشهد بها هؤلاء بل والأكثر من ذلك أن قيمة ماركيز وأعماله تفوق قيمة الجائزة بل الأدهى من هذا هو أن الفائزين بهذه الجائزة من كتاب القارة يرون بأن الجائزة لأول مرة تليق بصاحبها وماركيز.

¹ - بلينيوميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص16

² - المرجع السابق ص 14

ثالثا: المصادر التي اغترف منها ماركيز:

إن ظهور عبقرية ماركيز في قارة أمريكا اللاتينية لا يعتبر حدثا غريبا، بل يعد نتاجا طبيعيا لمحمول وراثي شارك في عملية صهره ونضجه روافد متعددة، ويذكر "عبد الله حمادي" إن هذه الروافد هي «ما بين افريقية إلى أندلسية عربية إلى هندية ممعنة في القدم إلى تيارات الحداثة والمعاصرة، التي ما انفكت تجتاح قارته منذ أن وطئها الغزاة الأسبان والمغامرين الأوروبيين الآخرين»¹، أي أن ماركيز لم يقتصر على الاطلاع على ما أنتجته أقلام الكتاب في القارة الأمريكية اللاتينية فقط، وإنما اهتم بمطالعة العديد من الأعمال في العالم بأكمله ولهذا يضيف قائلاً: « فماركيز يعتبر بؤرة انصهرت في بوتقتها العقلانية المنطقية بالمثالية الخرافية مع الغنائية الملتهبة، إنه عالم تتعدد فيه عناصر الجمال»².

بمعنى أنه يشبه ماركيز ببؤرة تتشكل من خلال عدة مؤثرات ومصادر مختلفة، وقد أشار الأديب البيرواني فارجاس يوسا أن مؤثرات ماركيز هي ثلاثة : شخصية، تاريخية، وثقافية، ويفصل في ذلك قائلاً : «... أما الشخصية فإنها تخص مكان ولادته وطفولته ومعايشاته في بلدة كولومبيا، أما ظروف العنف والقسوة التي تحيط بحياة السكان في ذلك البلد، فإنها تشكل جزءا من المؤثرات التاريخية، أما الثقافية فإنها تعود إلى مصادر قراءاته مثل: الإنجيل، ألف ليلة وليلة، أعمال كافكا، جيمس جويس، وبورخيس، وهيمنغواي وغيرهم...»³.

بمعنى أن العوامل التي كان لها الدور الفعال في تكوين شخصية ماركيز، والتي ساعدته على أن يبلغ كل هذه القدرة الإبداعية ثلاث، فتتمثل العوامل الشخصية في طفولته بما فيها حياته في بيت جديه ومعايشاته في بلاده، حيث أن تنقل لعدة مناطق في البلاد لأجل مواصلة تعليمه، بينما تتمثل العوامل التاريخية في تاريخ كولومبيا وما مرت به من حروب أهلية وظروف قاسية، إلى جانب تاريخ القارة بأكملها بما فيها من استعمار إسباني وأنظمة حكم، وما مر به السكان من ظروف قاسية من عنف وتعذيب وتقتيل، إلى جانب العوامل الثقافية المتعددة بين أعمال أدبية أمريكية لاتينية بل وحتى العربية أيضا كألف ليلة وليلة.

¹ - المرجع نفسه ص 15

² - غابريال غارسيا ماركيز، الحب ... وشياطين أخرى ص 08

³ - المرجع نفسه، ص 08.

وقد توافق رأي "ماريو بارجاس يوسا" مع ما أقر به "حامد أبو أحمد" في أن من العوامل المؤثرة في ماركيز هي العوامل الشخصية، ومنها يذكر «أن جدته تعتبر أول العناصر التي تجمعت لتصنع هذا العالم المدهش الذي ابتدعته مخيلة هذا الكاتب الكبير»¹.

مما يعني أن جدته هي مصدر إلهامه الأول، ولها الدور الفعال والبارز في كتاباته حتى أننا نجد أنه «لم ينكر في أي لحظة من لحظات حياته المخزون الإنساني الذي كان يستلهمه من جدته»²، فقد كان ماركيز يعترف بالمخزون الذي استقاه من خلال حديثها معه، وقصصها التي تعودت على قصها له.

وقد ظل ماركيز يعترف بتأثره الشديد بجدته في العديد من المحاورات التي أجراها، ومنها محاوراته مع بلينيو ميندوثا حين سأله عمن استفاد من تجاربهم فأجاب قائلاً: «...في مقدمتهم جدتي حيث كانت تقص أفزع الأشياء دون أن تتأثر لسرد وقائعها، بل تراها تقصها وكأنها تراها أو أوشكت على الحدوث فمن هذه الطريقة المركزة والغنى المفرط في التخييل الذي كان لهما فضل المشاركة في سبيل مروياتها...»³، فقد أقر بأن جدته كانت تقص عليه قصصاً على درجة كبيرة من الغرابة والأكثر غرابة فيها أنها تقصها بطريقة عفوية وكأنها تقص أحداثاً عاشتها وهو ما جعلها في رأيه امرأة الخيال والشعوذة وأن هذا الوصف جاء من خلال كونها كانت تملأ المنزل بقصص عن الأشباح والهواجس ومنها استمد روحها وطريققتها غير العادية في قصها للحكايات الخيالية كما لو كانت أمراً طبيعياً تاماً.

وقد ظهر تأثره الشديد بجدته من خلال أهم عمل له وهو رواية "مائة عام من العزلة" وفي هذا يقول: «.... وباتباع نفس المنهج لجدتي أخرجت "مائة عام من العزلة"»⁴، ويقصد بمنهج جدته تلك الحكايات الخرافية الأسطورية التي تحكيها والتي تعتبر شرطاً من شروط الواقعية السحرية، وهذا ما جعل هذه الرواية تعد أشهر وأهم عمل روائي في هذا التيار، وفي

¹ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص183.

² - بلينيوميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص15.

³ - المرجع نفسه ص 59

⁴ - المرجع السابق ص 59

هذا يضيف قائلاً: «في النهار عالم جدتي السحري يبدو لي مثيراً ومن داخله استمد عالمي الخاص»¹.

وقد أطلق على أحاديث جدته بالعالم السحري لأنها كانت تدور أغلبها حول الأشباح والعفاريت، والتي من الأكيد أنها كانت تشكل نوعاً من الخوف الذي يتحول إلى هم وقلق، ولكن العجيب في الأمر أنها ظلت تلازمه حتى فترة متقدمة جداً من حياته، «لأنها تحكي له أكثر الأشياء فظاعة شكل طبيعي ودون أي تأثير من جانبها»².

وإن تأثير جدته لم يقتصر على الحكايات فقط، بل تجاوز ذلك لدرجة أنه كان يكتب بنفس أسلوب جدته السحري، كما تجاوزت إلى كونها «أصبحت نموذجاً للكثير من شخصياته العظيمة لاسيما شخصية ماما الكبيرة في قصة جنازة ماما الكبيرة»³، وفي هذا يضيف حامد أبو أحمد بأن «هذه الجدة هي أصل شخصية أورسولا زوجة خوسيه أركاديو بونديا الأول في "مائة عام من العزلة"»⁴.

والى جانب جدته فيما يتعلق بالموثرات الشخصية، نجد تأثير ماركيز بوالده بالرغم أنه كان صارماً في تعامله معه إلا أنه يقول عنه: «إن الفضل يرجع له، في كثير من ملكاتي الأدبية التي أخذتها منه، فقد كتب في شببيته بعض القصائد التي لم تبق طي الكتمان...»⁵، مما يعني أن شغف ماركيز كان من خلال بعض الكتابات الشعرية التي ألفها والده في الفترة التي كان فيها ماركيز طالباً في الثانوية.

هذا فيما يخص روافده الشخصية أما عن الروافد الثقافية فهي عديدة ومتنوعة، ولعل كتاب ألف ليلة وليلة الذي لم يحظ أي كتاب عربي بمثل ما حظي به هذا الكتاب، وخاصة لدى كتاب عصر الازدهار الروائي منذ أواخر الأربعينيات إلى الآن، فقد كانت له أهمية كبيرة والتي تكمن في كونها من أهم الكتب التي نجد فيها كما هائلاً من العجائبي والسحري الذي احتوت عليه الحكايات في هذا الكتاب التي لا يمكن لأي عاقل إنكار دورها في ظهور

¹ - المرجع نفسه ص 47

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 184

³ - المرجع نفسه ص 185

⁴ - المرجع نفسه ص 185

⁵ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص 52

تيار الواقعية السحرية وفي هذا يعترف ماركيز «بأنه وجد الكتاب صدفة في مكتبة جده، ولو لم يقرأ هذه القصص لما أصبح أديبا»¹، أي أن كتاب ألف ليلة وليلة كان مصدرا هاما من مصادر إلهامه بل ومصدرا رئيسيا.

ويفسر أحمد أبو أحمد سبب تأثره بقصص هذا الكتاب «بأن جو هذه القصص تتشابه إلى حد كبير مع الجو الذي كان يعيش فيه، ولعل هذا ما جعله ينجذب إلى هذه القصص»²، فقد كان يحتوي على عوالم خرافية وكأنها واقع أكيد وهو على حد كبير من التشابه مع بيت جده الذي يمج بصور الموتى والأشباح ومن صور الموتى والأشباح يذكر ماركيز أنه « في كل مكان من ذلك البيت كان هناك الموتى والذكريات حتى أنه كان غير مأمون العواقب بعد الساعة مساء، وكان بالبيت حجرة غير مسكونة، ماتت فيها "العمة بترا" وحجرة أخرى مات فيها "العم لاثارو"، إذ لم يكن من المستطاع السير في ذلك البيت ليلا لأنه كان يظم من الأموات أكثر مما يضم من الأحياء»³ أي أن جو البيت موحشا مخيفا يبعث في نفس ماركيز الرعب والهلع.

إلى جانب تأثر ماركيز بقصص ألف ليلة وليلة ومطالعة الدائمة له نجد أن ماركيز تأثر بالعديد من الأعمال الأدبية في قارته الأمريكية اللاتينية بل وحتى القارة الأوروبية ولعل أبرز هؤلاء نجد "فرانز كافكا franz kafka" وفي هذا يقول "عبد الله حمادي" «إن عزلة ماركيز ربما هي بعينها التيهان الذي لطالما عكسته أعمال كافكا أو الألم الإنساني الذي تفرره معاناة ديستوفسكي وتلك المآسي القائمة التي طالما توحى بأجوائها أعمال جويس»⁴.

بمعنى أن ماركيز كان أشد التأثر بكل من "فرانز كافكا" و "ديستوفسكي destoveski" وجيمس جويس ولكن كان تأثره الشديد في المقام الأول بكافكا حيث ذكر ماركيز أنه « كان

¹ - الشريف عبد الواحد، أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير القصصي. مجلة الموقف الأدبي العدد 186 اتحاد الكتاب.

دمشق/سوريا 2006 ص 12

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 11

³ - المرجع نفسه ص 191

⁴ - بلينيو ميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص 21

يقص الأحداث بنفس الطريقة التي تحكي بها جدته، وأنه عندما قرأ روايته " المسخ " وكان عمره 17 عاما اكتشف بأنه سوف يصبح كاتباً¹.

مما يعني أن رواية المسخ لكافكا لاقت ترحيباً وإعجاباً كبيراً من طرف ماركيز، لما لها من عناصر تتشابه فيها مع حكايات جدته من سحر وخيال.

وقد أورد تفصيل حصوله على هذه الرواية وقراءته لها وتأثيرها الشديد عليه في حوار مع ميندوثا قائلاً: « إن هذه الرواية استعارها من أحد زملائه في الدراسة في ذلك المرقد الخاص بالطلبة الوضع، وفور دخوله أنزل كيسه وخلع حذاءه، وارتدى على السرير وفتح الكتاب وقرأ "ما إن أفاق غريغورو سامسا ذات يوم من أحلامه المزعجة، حتى وجد نفسه وقد تحول في فراشه إلى حشرة ضخمة" * أغلق غابريال الكتاب وهو يرتجف "عجيب" ثم راح يفكر أمثل هذا يمكن فعله!²».

مما يعني أن ماركيز الذي اطلع على العديد من الكتب من مختلف المناطق لم ينبهر بها قدر انبهاره وإعجابه بهذه الرواية، بل ولم يقتصر الأمر على الإعجاب فقط بل أنه « في اليوم التالي لقراءته للرواية كتب أول قصة له»³، فالرواية إذن دفعا قويا للكتابة والتأليف.

ثم إن المتتبع لسيرة حياة ماركيز بتفاصيلها يكتشف أن مصادره التي كانت بمثابة قاعدة انطلق منها، لا تنحصر في حوادث جدته أو قصص ألف ليلة وليلة أو أعمال كافكا، بل تتجاوز ذلك إلى العديد من المؤلفات والأعمال وفي مختلف الأجناس الأدبية شعرا ونثرا، حتى أننا نجد أن ماركيز يعترف في حواراته المختلفة بأنه كان شغوفا بالقراءة، وكان للشعر مكانة خاصة عنده فيقول « هناك في النظام الداخلي بالثانوية بدأ تكويني الأدبي، وقد بدأ اهتمامي بالأدب من خلال الشعر الرديء، والشعر الشعبي الذي يوجد منتورا في اليوميات، والأوراق المتفرقة وفي النصوص القشتالية المقررة لصفوف البكالوريا اكتشفت أنني أهوى الشعر»⁴.

¹ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص194

* - هكذا تبدو رواية المسخ لفرانز كافكا

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص88

³ - المرجع نفسه ص 195

⁴ - بلينيو ميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص102

مما يعني أن ماركيز كان مولعا بمطالعة الشعر، ولكن اهتمام ماركيز بالمطالعة لم يتوقف على الأعمال الشعرية فقط بل امتد إلى الأعمال النثرية والروائية بشكل خاص، والجدير بالذكر أن لهذا سببا مقنعا والذي يتمثل في إعجابه برواية المسخ لكافكا، حتى أنه يقول في إحدى محاوراته: « بعد مدة كنت في الجامعة في السنة الأولى من الحقوق حين قرأت رواية المسخ ...، آنذاك بدأ اهتمامي بالرواية وقررت قراءة كل الروايات الهامة التي ألفت منذ فجر الإنسانية»¹.

مما يعني أن لحظة قراءته لهذه الرواية كانت لحظة هامة وحاسمة جعلته يتعلق بهذا الجنس الأدبي، بل حتى أنه قرر الإطلاع على كل الروايات التي كتبت منذ الأزل وحقيقة فقد فعل ماركيز ذلك لدرجة أنه « كان يرى رث الهندام سيء الحلاقة، إلا أنه كان يجول متسكعا في المقاهي بكتاب تحت إبطه، وفي ظروفه هذه عوض الأشعار التي كان يكثر من قراءتها أصبح يطالع الروايات، والروايات العديدة في المقدمة: "ديستوفسكي" DISTOVISKI، وتولستوي TOLOSTOY، وديكنز DéKAINZ، وكتاب القرن الماضي من الفرنسيين كفلوبير G.FLAUBER، ستندال STANDEL، بلزاك ONORET DE BELZAK، وزولا EMILE ZOLA² » .

بمعنى أن ماركيز رغم الظروف القاسية التي يمر بها إلا أنه جعل من الروايات شيئا يشغله في ظل هذه الظروف، وأن قرار ماركيز بأن يطلع على كل الروايات التي ألفت في تاريخ البشرية كان قرارا صارما، وفي هذا يقول أيضا: « تخلّيت عن كل شيء حتى عن مستقبلي في الحقوق، وتفرغت فقط لقراءة الروايات والكتابة»³ ، أي أنه تخلى عن تخصصه الذي يفترض أن يهتم به وراح يهتم بمجال بعيد كل البعد عما يدرس، وأن اهتمام ماركيز بالأعمال الروائية لم يكن منصبا على أدباء قارته فقط وإنما تجاوز حدود القارة فقد حصل أن اكتشف من خلال رفاقه « على أدباء الغريق وبالتحديد سوفوكليس في أوديب الملك»⁴،

¹ - المرجع نفسه ص 103

² - المرجع نفسه ص 89

³ - المرجع نفسه ص 103

⁴ - المرجع نفسه ص 90

واقتبس من الأسطورة اليونانية أنتاجون في عمله " الأوراق الساقطة"¹ وبما أن ماركيز قد اهتم بأعمال سوفوكليس فهذا يدل على أنه اهتم بأقدم الأعمال الأدبية.

و بعد اكتشاف ماركيز للكتاب اليونانيين اكتشف شيئاً أساسياً بالنسبة لتكوينه الأدبي وهذا الاكتشاف « يتمثل في الكتاب الأنجلو ساكسونيين من هذا القرن وعلى وجه الخصوص "جيمس جويس JEAMS JOYES"، فرجينيا وولف V.WOOLEF"، ووليام فولكنر² WILLIAM FULKNER"، فقد كان لهؤلاء الأثر البالغ على حياة ماركيز الأدبية فيه فولكنار مثلاً حتى أنه صرح بذلك علناً في خطاب قبوله لجائزة نوبل للآداب عام 1982 م .

كما ذكر إلى جانب هؤلاء الأدباء أنه كان « يطلع باستمرار كتابات كونراد وسان أكروبري معللاً ذلك بأن السبب الوحيد الذي يجعله يعيد قراءة كتاب ما هو كونه يستهويه»³.

بمعنى أنه لا يهتم لأمر لأي كتاب كان إلا إذا وجد فيه ما يستحق الاهتمام، وقد فسر الشيء الذي استهواه في أعمال هذين الأخيرين هو « طريقتهما في معالجة الواقع بطريقة غير مباشرة إلى درجة أن يبدو شاعرياً، وحتى في اللحظات التي من الممكن أن تكون سوقية»⁴، وهو ما يتشابه إلى حد ما طريقته السحرية في معالجة الواقع، أي مزجه للواقع مع السحر والأسطورة .

كما يضيف إلى هذين الأخيرين وتأثره بهما بأنه كاد « أن يكون كاتباً مغايراً لما هو عليه اليوم لو لم يقرأ في حياته للسيدة دالواي»⁵.

كما يعترف «بتأثير قراهم قرين G.GUERIN وأرنست هيمنغواي ERNEST HAMIGWAY، فقد أمداه بتعاليم من النوع التقني الخالص وهي مميزات ظاهرية والتي كان دائماً يعترف بها»⁶. وتأثير هيمنغواي في ماركيز يظهر من خلال بعض قصصه التي هي مدينة بالشيء الكثير لقصة " الكناري كهديّة " لهيمنغواي.

¹ - مهيرة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة، لغبريال غارسيا ماركيز، ص38

² - بلينيو ميندوتا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص103

³ - المرجع نفسه ص 02

⁴ - المرجع نفسه ص 97

⁵ - المرجع نفسه ص100

⁶ - المرجع السابق ص101

ذكرنا أن ماركيز بعد قراءته لرواية "المسخ" قرر قراءة كل الروايات التي ألفت منذ فجر البشرية، وما ذكرناه من الروايات التي اطلع عليها لا يكفي أن تكون دليلاً على هذا، بل أن ما يثبت ذلك هو أنه « اطلع على الروايات الأجنبية منها الفرنسية والإسبانية واللاتينية كما اطلع على الروايات والآثار العربية من كتب تاريخ وأدب شعبي، حتى أنه يعتبر أكثر كتاب أمريكا اللاتينية إشارة إلى الصورة الشرقية الكلاسيكية...، والتي استمدتها من قراءة الروايات التاريخية وكتب التاريخ الخالص...»¹، فنجد ماركيز يشير إلى بعض المظاهر الحياتية أو السمات الشخصية للفرد العربي.

ومن أمثلة ذلك نذكر نماذج من رواية " خريف البطريق"، حيث أنه في حدث من أحداث الرواية والذي يدمج فيه ملوك بابل الذين كانوا في أزمنة غابرة قائلاً: « ... كانا يتأملان معا الصفصاف الملغز الذي أرسله لهما "ملوك بابل" في عيد الميلاد ذاك لكي يفرشاه في حديقة المطر »²، فهذا المثال على الرغم من كونه يتجلى على درجة من السحر، لكن المهم أنه أورد ملوك بابل، كما يتحدث في الرواية عن تصرفات الفلسطينيين قائلاً «... يتصرفون مثل الفلسطينيين القدامى الذين كانوا يعبدون "دوغان" في السفينة»³، فهو في هذا النموذج يتحدث عن الطقوس الدينية للفلسطينيين القدامى، ونجد أيضاً يقول: «...فكر بعضهم أنه في مدغشقر أو في بلاد فارس أو في بلاد البربر»⁴، وهو ما يدل على معرفته الشاملة بتاريخ العرب سواء في إفريقيا أو آسيا.

كما يتحدث في روايته الشهيرة "مائة من العزلة" واصفاً أحد شخصيات الرواية "جوزيه أركاديو" يقول: « كان طويلاً، وقور الهيئة، دائم التفكير، حزينا كفارس مسلم على وجهه لمعة كئيبة بلون الخريف»⁵ فهو يشبه هذه الشخصية بعربي وهو ما يثبت بأنه مطلع على تاريخ العرب بل وعلى أبسط التفاصيل التي تخصهم، إذ ما يلاحظ من خلال حديثنا عن مؤثرات ومصادر ماركيز الشخصية والتاريخية والثقافية هو أنها تشترك في أمور عدة منها

¹ - داود سلوم الشخصيات العربية في روايات أمريكا اللاتينية ص 31

² - غابريال غارسيا ماركيز، خريف البطريق ص 164

³ - المرجع نفسه ص 45

⁴ - المرجع نفسه ص 93

⁵ - غابريال غارسيا ماركيز، مائة عام من العزلة ص 244

أنها كانت حافظاً قوياً لتأليف القصص والروايات كما أن هذه المؤثرات تشترك في نقطة مهمة وهي حضور السحر والأسطورة والخيال الجامح إلى جانب واقعيته وعقلانيته الطبيعية، وهذا يتجلى من خلال الوسط السحري الخرافي الذي عاش فيه وواقع أمريكا اللاتينية المليء بالمتناقضات إلى جانب حوادث جدته وقصص ألف ليلة وليلة وما تحمله من عناصر عجائبية وخرافية وصولاً إلى أعمال كافكا الأسطورية والعديد من الأعمال الأخرى.

رابعاً: آراء النقاد حول ماركيز وكتاباته :

ليس من الغريب أو الصدف أن تجد آراء النقاد تتحد وتتشابه على الرغم من اختلاف المكان، وتباين الانتماء الثقافي والحضاري حول ماركيز وقيمه الأدبية.

فقد تنبأ له الشاعر الشيلي بابلو نيرودا حين ظهرت روايته المشهورة " مائة عام من العزلة"، والتي نال من خلالها جائزة نوبل للآداب، وقد قارن اسم ماركيز باسم سيرفانتس SIRVANTESS وقارن روايته الأخيرة برواية " دونكيشوت دولامانشاب"¹ والتي تعتبر من الإرهاصات الأولى للرواية، وأن مقارنته هذه تدل على قيمة ماركيز التي تختلف عن قيمة رواية سيرفانتس .

و لكن بابلو نيرودا لم يكن وحده من يعترف بهذه القيمة، بل نجد الشاعر السوفياتي أفجيني الذي عبر عن إعجابه الشديد بماركيز بل «رأى أنه أكبر كاتب عرفه القرن العشرين»² وأن هذين الرأيين لهما من الأبعاد ما يجعلان القارئ يعترف بعالمية ماركيز إلى جانب رأي الشاعر والناقد المكسيكي "أوكتافيو باث " بأنه ممن يتربعون على عرش الرواية العالمية .

كما نجد بدر عبد الملك قد أورد في كتابه بأن أحد النقاد يصف ماركيز بأنه « يسرد دونما علل، وباستمرارية لا تعرف التوقف كما يفعله القاصون الشعبيون»³.

مما يعني أن طريقة ماركيز في سرد الأحداث والشخصيات استهوت القراء لجودته وروعة تصويره للأحداث والشخصيات، وهو ما لا يشترك فيه مع القصاصين الشعبيين الذين

¹ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص ص 14-17

² - المرجع نفسه ص 60

³ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجاً" ص 173

تفضي طريقتهم السردية إلى الرتبة والسأم « بينما ماركيز كلما ظهرت له رواية وخرجت للوجود إلا وأثارت معها زوابع هائلة وضجة لا متناهية بين الأدباء والنقاد بحيث يبدأون في تخيل عالم ماركيز، ولما تتصف بخ من روعة وجودة في السرد والتصوير»¹.

أي أن إقبال القراء على روايات ماركيز كان يتزايد في كل مرة تظهر له رواية، وإن طريقة ماركيز في السرد هي « من جعلت من الضروري على القراء أن يطلقوا العنان لمخيلاتهم، لمحاولة فهم هذه الروايات جاهدين بإمكانياتهم الأثرية والأنثروبولوجية في معرفة سلسلة الأنساب والأسماء ومكانية الأزمنة، وزمانية الأمكنة، كحلقة التعاقب الوراثي في أروع رواياته خاصة رواية "الحب في زمن الكوليرا" و"مائة عام من العزلة"، و"خريف البطريق"»².

مما يدل على أن ماركيز يشترط أن يكون قارئه فطنا وذكيا وصاحب ذاكرة قوية، «ثم إن ماركيز يحتاج إلى قارئ يقظ ونشط الذاكرة، بحيث يقوى على ربط التداخلات الزمنية والاسترجاعات، من خلال التواريخ والأنساب والتكرار والتعاقب وكل ذلك يوظف بتقنية عالية وإبداعية، فهو أحد روائبي العصر وينتمي لواقعية هذا الزمن بكل تعقيداته، لأن الواقعية متحركة بطبيعتها متحركة بكل عناصرها المكونة بما في ذلك من وسائل التعميم الفني والشكل»³، أي أن ماركيز يسرد حدثا إلى أن يكمله لينتقل إلى حدث آخر بل يسرد حدثا ويضيف حدثا آخر ليعود من جديد ليكمل الحدث الأول هكذا.

خامسا: قيمة ماركيز وشهرته:

لم تأت شهرة ماركيز العالمية من فراغ، فمنذ أن نشر أول قصة له أخذ نجمه يتصاعد بصورة مستمرة، ثم توالى أعماله التي جعلت الناس في كل مكان من العالم ينظرون إليه على أنه واحد من أهم كتاب هذا العصر، ثم إن ما جعله يحظى بهذه المكانة وهذه الأهمية هو «أن ماركيز له قدرة عالية على إعادة خلق التصورات والأحاسيس الخاصة بالتراث الأدبي والفضاء الثقافي للقارة، وإن ما هو رائع في أعمال ماركيز الروائية أو القصصية لا يتمثل في قدرته على إقامة أو صنع عالم خرافي، وإنما يتمثل في أبعد من ذلك وهو أن

¹ - المرجع السابق ص 174

² - المرجع نفسه ص ص 174-175

³ - المرجع نفسه ص 87

أعماله الأدبية تدخل بصورة حاسمة في منظومة أدب أمريكي لاتيني معاصر قادر على حل إشكالياته الخاصة، بل ومنطلقا نحو العالمية»¹.

مما يعني أن ماركيز يمتلك قدرت هائلة على الوصف الشخصيات والأماكن، بل وحتى التصورات والمشاعر الخاصة لهذه الشخصيات والأماكن بل وحتى التصورات والمشاعر الخاصة لهذه الشخصيات، كما أن ماركيز لا يسعى من خلال كتاباته إلى صنع عالم من السحر والأسطورة وإنما أهدافه عديدة ومنها طرح قضايا مهمة تخص المجتمع في قارته كما أن الجميع يعترف بأن لماركيز « قدرة مذهلة في الكتابة وتمكنه من استخدام تقنيات متعددة كالوصف والسرد واللغة وغيرها، وهي ما جعلت الكثيرين يقرون تمكن ماركيز من خلق عالم خاص ما جعله يحقق فوزه وتتوجه بجائزة نوبل »².

ثم إن قدرة ماركيز تكمن أيضا في أنه « كان فتحا جديدا لمعالم الرواية المعاصرة »³ إلى جانب كونه أحدث المعجزة، وهي إعجاب القارئ في كل صوب وحذب ومعجزة المستوى الأدبي والفني الرفيع، وهما ظاهرتان قلما توفرتا لدى الكتاب عبر العصور بل وأنهم يعدون على أطراف الأصابع «⁴.

و من خلال هذا كان لماركيز الحظ أن يحظى بشهرة عالمية ومما « لا شك أنه قد شد ملايين القراء من كل أنحاء العالم وتمتع بشهرة عالمية لم يحظ بها إلا القليلون، وبكفي بالنسبة للعرب أنه من الكتاب القليلين الذين لا يظهر لهم عمل إلا وصدرت ترجمته العربية بعد شهور قليلة »⁵.

و لعل قيمة ماركيز لا تقتصر على القدرة على الكتابة أو إعجاب القراء بها، وإنما أكثر من ذلك فقد كان له الدور الفعال في تطور الأدب في أمريكا اللاتينية وهو ما سنوضحه في العنصر الموالي .

¹ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص ص 66-70

² - المرجع نفسه ص 132

³ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص 14

⁴ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 132

⁵ - المرجع نفسه ص 132

1- دور غارسيا ماركيز في تطور الأدب في أمريكا اللاتينية :

عندما استيقظت قرية أركاتاكا الواقعة على الساحل الكولومبي على صراخ المولود الجديد غابريال في بيت جده الكولونيل ماركيز، لم تكن حينذاك تدرك لا هي ولا سكانها بأن هذا الطفل سيكون فارسها الذي سيصوغ تاريخها المدفون، والتي تكون بفضلها في يوم من الأيام ذائعة الصيت من خلال نثره الأدبي، فهو من كان « ينشر رمادها في الفضاء كما يفعل السحرة والغجر، فينقلها من جغرافية الأزمنة الميتة إلى روح الآلهة العصرية »¹.

ويقصد بذلك أنه الوحيد الذي اعتمد تاريخ القرية بل وتاريخ القارة بأكملها كأرض خصبة لكتابات القصصية والروائية، فهذه القارة عامة والقرية بشكل خاص كان يعرفها القلة فقط، ولكنها أصبحت من خلال أعماله من أشهر القرى، كما أنه كان سببا في لفت انتباه الأدباء والنقاد ليهتموا بأدب القارة، وحتى المؤرخين للاهتمام بتاريخها، بل وأن ماركيز «استطاع أن يتجاوز الروائيين الكبار كهنري جيمس، وجيمس جويس وأبرز أساتذته المباشرين أمثال فيرجينيا وولف وقراهم قرين وفولكنر»².

مما يعني أن ماركيز لم يكتف بالسير على منوال أساتذته والاكتفاء بما عمله أساتذته، بل إن ظهور ماركيز « يعتبر بمثابة فتح جديد لعالم الرواية المعاصرة، ومجيئه أصبح ضروريا كونه بمثابة دفع جديد لما عجز عن تحقيقه أساتذته وعلى رأسهم "وليام فولكنر"، فهو لم يكتف بمعرفة استخلاص ما هو محلي كما هو الحال بالنسبة "لقرين" ولا بمحاولة إثبات حتمية المصير التهديمي حتى يكون كنتيجة منطقية لإثبات لعنة خراب العالم كما تحاول أن تقوله أعمال فولكنر»³.

فقرين حاول في أعماله الحديث عن أحوال قريته وبقي محصورا في تلك البوتقة، أما فولكنر فحاول الحديث عن الظلم والتعسف الذي عرف في القارة فيما نجد ماركيز لم يقتصر بالحديث عن قريته لوحدها، بل تحدث إلى جانب الظلم والتعسف في القارة تحدث عن كل ما يخصها من ديكتاتوريات وحروب وآفات، بل وحاول تجاوز الحديث عن ذلك بالطريقة التي

¹ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجا" ص173

² - بلينيوميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص20

³ - المرجع نفسه ص 20

تحدث بها أعلام الواقعية في أوروبا أمثال "بلزاك وإيميل زولا" في الواقعية النقدية أو الطبيعية أو حتى الاشتراكية بل تحدث عن ذلك بواقعية جديدة وهي "الواقعية السحرية".

كما يقر "صالح علماني" في ترجمته لرواية "الحب... وشياطين أخرى" «إن النقد أجمع منذ بدايات بروز اسم هذا الكاتب على المستوى الرفيع لكتابات وأشار إلى قدرته وملكته وكانت رواية "مائة عام من العزلة" المنشورة عام 1967 م خير ما تمثله انطلاقة الرواية في أمريكا اللاتينية»¹.

مما يعني أنه مثلما كانت رواية سيرفانتس "دونكيشوط دو لا مانشاب" أول انطلاقة للرواية في أوروبا كان الأمر ذاته بالنسبة لرواية "مائة عام من العزلة" أول انطلاقة للرواية في أمريكا اللاتينية هذا فيما يتعلق دوره في انطلاقة الرواية.

أما عن دوره في انطلاقة القصة يقول "عبد الله حمادي" في حديثه عن بداية حياة ماركيز الأدبية «بأنه نشر مقالا بعنوان " الحقيقة حول مغامراتي" والتي استفاد منها فيما بعد في بناء قصة الغريق المشهورة والتي اعتبرها الكثير من النقاد كفاتحة في عالم القصة القصيرة وهي التي ستمنحه لقب رائد الواقعية السحرية أو الأسطورية»²، وهذا مفاده أنه كان أيضا صاحب الانطلاق في التأليف في جنس نثري غير الرواية والتي هي القصة.

سادسا: علاقة ماركيز في رواياته بالواقع:

ارتبط اسم ماركيز بالواقعية السحرية واعتبر رائدا لها ونلاحظ أنها تتركب في شقها الأول من الواقعية، مما يدل على أنه يولي اهتماما كبيرا للواقع ويعتبره منطلقا لكتاباته، وهو الأمر ذاته الذي جعل ماركيز يعترف به قائلا: «إننا نحن كتاب أمريكا اللاتينية والكاريبي ينبغي أن نعترف بأن الواقع أفضل منا جميعا، وقد رنا - وربما مجدنا كذلك- هو أن نقلده بتواضع وبشكل أفضل في إطار المتاح لنا»³. ويقصد بذلك أن الواقع من واجبهم تقليده والانطلاق منه وهو أفضل ما يجب على الإنسان فعله والشرط ليس في طريقة تقديمه وإنما يكمن في تقديمه والاعتماد عليه كقاعدة في الكتابة ولهذا «يجد المطلع على كتابات ماركيز خاصة

¹ - بلينيوميندوثا غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص 08

² - بلينيوميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص12

³ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص176

الروائية منها بأنه متأثر بالواقع المحيط به وخاصة في طفولته أي في الوقت الذي عاش فيه في بيت جديه وقد انعكس هذا الواقع على أعماله كلها ¹.

وكما سبق وأن قلنا بأن طريقة تقديم الواقع ليست الأهم ولهذا نجد أن تقديم ماركيز للواقع « لا يتم بطريقة فوتوغرافية وإنما جاء ذلك على طريقته » ²، وهو ما يثبت فيما سبق بأن الكتاب في هذا التيار لكل واحد منهم عالمة الخاص، بمعنى لكل طريقته الخاصة في تقديم الأحداث الواقعية في القارة ويلج ماركيز دوماً على أنه ينطلق في كتاباته من الواقع قائلاً : « إن أفضل القصص هو ما كان تعبيراً شعرياً عن الواقع » ³.

مما يعني أن أمتع القصص وأجودها هي ما كانت مطابقة للواقع كما يقول أيضاً في إحدى حواراته ، « لا يوجد في رواياتي سطر واحد ليس له أساس من الواقع » ⁴، فهو يؤكد ويجزم على كون كل كتاباته لا تخرج من نطاق الواقع.

ثم إن ما يؤكد ذلك من الناحية التطبيقية هو اعترافه في إحدى حواراته عما إذا كانت هناك شخصيات تشبه شخصية واقعية في إحدى رواياته فقال « بأن رواية "حادثة ميتة معلنة" فيها شخصية تشبه شخصية والدته كما تشبه شخصية أورشولا في رواية "مائة عام من العزلة" جده كما أن فيها بعض الملامح تتشابه فيها مع بعض ملامح لنسوة عرفهن في حياته » ⁵.

وفي هذا يضيف « لا أستطيع أن أكتب قصة لا تكون مبنية على تجارب شخصية » ⁶، ثم إن ذكرنا لرواية "مائة عام من العزلة" و"حادثة ميتة معلنة" لا يعني بالضرورة أن ماركيز اقتصر تجسيد الواقع فيهما فقط بل مجد أيضاً « روايته " الورقة الساقطة" تنطلق من موقف كانت انعكاسات مهمة في سنواته الأولى، لأن أباه عامل التلغراف في أركاتاكا كان ممن

¹ - المرجع السابق ص 176-177

² - المرجع نفسه ص 177

³ - بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص 176

⁴ - المرجع نفسه ص 89

⁵ - المرجع نفسه ص 50

⁶ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 177

ينسبون إلى هذه الفئة من الغرباء الذين قدموا إلى المنطقة وكان لهذه الفئة يطلق عليها اسم " لا أوخارسكا " أي " الورقة الساقطة" ¹.

كما نجد أن ماركيز « اعتمد على شخصية جده الكولونيل كمرجع أساسي لكل الكولونيات الذين وردوا في أعمال ماركيز بدء من "يكاثبه"، حتى الكولونيل " أوريليانوبوينديا" في رواية " مائة عام من العزلة" ². وفي هذا الصدد يقول «الشخصية التي تشبه جدي هو الكولونيل الذي يرى في "الورقة الساقطة " بدون اسم ومن هذا فهي تقريبا صورة طبق الأصل منه في شكله أو في طبعه أن كان ذلك يبدو نسبيا إلى حد ما » ³.

و أن ماركيز لم يجسد فقط شخصية جده أو جدته أو حتى أمه بل نجده « بقي ملحا على عالم طفولته حتى وإن نلاحظ أنه ابتعد عن ذلك في كل من رواية "مائة عام من العزلة"، " الحب في زمن الكوليرا" و " الجنرال في متاهة" و " خريف البطريق " ⁴، وفي الحديث عن واقعية ماركيز نجد أن ماركيز في حوار من ميندوثا يجيب عن سؤال هو كالاتي : ما هي نقطة الانطلاق في أي كتاب لك ؟ قائلا : « من صورة مرئية ففصة " قيلولة الثلاثاء" التي أعدها أفضل قصصي من رؤية امرأة وطفل ترتديان السواد، وتحملان مظلة سوداء وتسيران تحت شمس متقدة في قرية مقفرة» ⁵، أما الانطلاق في رواية "الورقة الساقطة" « جاءت من رؤية شخص يحمل صديقه إلى القبر، أما نقطة الانطلاق في رواية " الكولونيل لا يجد من يكاثبه" هي صورة لرجل ينتظر مركبا في سوق بارنكولينا في نوع من القلق الصامت » ⁶.

كنا قد تحدثنا عن أعمال ماركيز الأدبية القصصية أو الروائية، وقلنا بأنه ينطلق من الواقع في كتاباته، بل ويعتبره أرضا خصبة له ويعترف بأنه لا يوجد في رواياته سطر واحد ليس له أساس من الواقع، لكن الأشكال هنا هو: إذا كانت روايات ماركيز تنطلق من الواقع

¹ - المرجع السابق ص 179

² - المرجع نفسه ص 179

³ - المرجع نفسه ص 187

⁴ - المرجع نفسه ص 187

⁵ - المرجع نفسه ص 187

⁶ - بلينيوميندوثا، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص 62

فأين السحر إذن؟، وإذا كان الواقع هو الأرض الخصبة، لماذا أضيف مصطلح السحرية إلى الاتجاه الذي يعتبر رائداً له وهو " الواقعية السحرية " ؟ وإذا كان حقاً يمزج الواقع مع السحر فما محله في أعماله؟ وإذا كان الواقع والسحر عنصران متناقضان فكيف فعل ذلك، وإلى أي مدى وفق في ذلك؟

نشر مقال في مجلة " النص الأدبي " عام 1979 م بعنوان " الفانتازيا والإبداع الفني في أمريكا اللاتينية والكاريبي " يقول فيه ماركيز: « إن أصعب شيء بالنسبة للكاتب اللاتيني الأمريكي ليس هو اختراع عالم ما، لأن هذا العالم موجود أمامه ومكتمل لكن ذلك يتمثل في السيطرة على لغة قادرة على أن تتناول كل هذا الواقع الأمريكي اللاتيني الذي لا يمكن تصديقه»¹.

إن ماركيز يقصد من خلال قوله هذا بان الكاتب الأمريكي اللاتيني من البديهي أن يكون منطلقه هو الواقع لأنه مكتمل وهو في متناوله وهو ما يفسر الشق الأول من التوجه "الواقعية السحرية"، ولكن تفسير اقتران مصطلح السحرية وهو الشق الثاني من تسمية التوجه هو واقع هذه القارة المليء بالخرافات والخيالات الجامحة أي أنه واقع سحري ومن هنا انطلقت تسمية التيار هذا فيما يخص دافع ماركيز في هذا النوع من الكتابات ومن هنا نجد أنه « منذ قصصه الأولى كان يعمل من أجل الوصول إلى شكل قصصي مؤهل لصنع عالم خرافي لما أطلق عليه هو نفسه " المصير الغريب للواقع اللاتيني الأمريكي " وهذا المصير الذي قال عنه روائي كبير هو " كارلوس فوينتس " «أنه يتمثل في التوتر الحاد بين " اليوطوبيا" والملحمة والأسطورة وهي خاصية من خواص تاريخ أمريكا اللاتينية»².

مما يعني أن الواقع الأمريكي اللاتيني ليس واقعا بالمعنى الحقيقي للكلمة وإنما هو واقع خرافي وسحري وخيالي وبالتالي فهذا الواقع اللاواقعي سيكون جوهر الكاتب في القارة إضافة إلى هذا فالمتتبع الجيد لتاريخ القارة يجده "تاريخاً مبهماً هذا إلى جانب الأنماط المعيشية المختلفة فيها وكل هذه أسباب وغيرها أدت إلى توقع أي شيء وتقبل أي شيء وهو ما جعل كل شيء ممكناً وكل شيء فيها يمكن أن يختلط فيه الواقع بالخرافة والسحر والأسطورة وفي

¹ - حامد أو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص 193

² - المرجع نفسه ص 67

هذا الشأن يقول "ماريو بارجاس " عن ماركيز: «إن أركاتاكا خلال السنوات الثمانية الأولى من طفولة ماركيز تعيش على الأساطير والأشباح والعزلة والحنين وكل الأعمال الأدبية لغارسيا ماركيز قائمة على هذه العناصر التي تغذى منها في طفولته»¹، وبالتالي فإن اختلاط كل هذه العناصر في القارة بشكل عام والمدينة بشكل خاص، هو الذي أقنع ماركيز بأنه لا يمكن أن يكون إلا أديبا واقعيا مع امتزاج هذه العناصر في أدبه، وفي هذا يضيف ماركيز قائلا: «إن الواقع في أمريكا اللاتينية يمزج بأشياء غريبة لا يصدقها عقل»².

و من خلال ما تقدم نجد أن ماركيز يقدم ملخصا لكل هذا، بأنه يمزج الواقع من السحر وأن واقع القارة هو ما أجبره على فعل ذلك، وقد وفق ماركيز في ذلك لكونه « يمزج بين ما هو سحري وغير قابل للتصديق وبين ما هو واقعي وعادي ومنطقي إلا أنه لا يبالغ في المشاهد السحرية الأسطورية إلى الحد الذي يتحول فيه المشهد إلى مجرد فانتازيا صارخة ومفارقة للواقع»³.

مما يعني يمزج العنصرين رغم تناقضهما إلا أنه لا يبالغ في مواقفه السحرية لدرجة أن تكون خارقة للعادة والتي يؤدي بالضرورة إلى سخرية القارئ، بل الذي حصل هو عكس ذلك فالقارئ يتمتع بما يقدمه ماركيز من مشاهد سحرية لدرجة تصديقها رغم عدم منطقيتها، وأن ما يثبت تقبل القراء لهذه التقنية هو انتشار أعمال ماركيز في كل العالم .

1- نماذج عن مزج ماركيز بين الواقع والسحر والأسطورة:

يشير غارسيا ماركيز في رواية " خريف البطريق " إلى حادثة وقعت في إحدى المناطق الجنوبية بالأرجنتين، عندما حملت الريح سيركا برمته وفي اليوم التالي عثر الصيادون في شباكهم على جثث الناس والأسود والقروء... إلخ وذلك في الصفحة "165" من الترجمة العربية للرواية قائلا: «... إلى حد أننا نسبنا إليه العاصفة الجافة المهيولة المحملة بالبروق والرعود البركانية وبرياح " كودومورو ريفادافيا" القطبية التي قلبت أحشاء البحر وحملت على

¹ - المرجع السابق ص 179

² - المرجع نفسه ص 69

³ - المرجع نفسه ص 155

الفضاء سيركا كاملا من الحيوانات المقيمة في ساحة مرفأ تجارة العبيد القديم، ولقد انتشلنا بواسطة الشباك أفيالا، ومهرجين غرقى، وزرافات جائحات على أراجيح الترويض»¹.

فهذا النموذج نرى بأنه مستوحى من حادثة واقعية وحقيقية حتى أن فيها ما هو منطقي، وهو وجود السيرك والذي يتواجد فيه مهرجون وحيوانات وغيرها، لكنها في الوقت نفسه قدمت من طرفه بطريقة جعلته يحمل من الغرابة الشيء الكثير، ولكن رغم ذلك فالقارئ لا يمل ولا يسخر منها أثناء قراءته له، إلى جانب هذا نجد في نفس الرواية مثلاً آخر: «انقضت العقبات على شرفات القصر الرئاسي خلال نهاية الأسبوع، فحطمت أسلاك النوافذ المعدنية بضربات مناقيرها وحركت الزمن الراكد في الداخل بلفيف أجنحتها»².

إن هذا الحديث في بداية الرواية على قدر وجود أمور واقعية كالقصر الرئاسي، والطيور، لكن الغريب والسحري يكمن في قدرة هذه الطيور على فعل كل هذا فقد جعل منها كائنات خارقة لكن يبقى الحدث مشوقاً.

¹ - المرجع السابق ص 70

² - غابريال غارسيا ماركيز، خريف البطريق ص 01

الفصل الثاني

رواية "الحب في زمن الكوليرا"

أولاً: دراسة البنية الشكلية للرواية

ثانياً: دراسة الرواية من الناحية الموضوعية:

ثالثاً: الشخصيات في الرواية

رابعاً: الأحداث في الرواية

خامساً: البناء الفني للرواية

سادساً: الواقع والسحر في الرواية

رواية "الحب في زمن الكوليرا"

أولاً: دراسة البنية الشكلية للرواية

تعتبر رواية "الحب في زمن الكوليرا" من أهم وأشهر روايات الروائي الكولومبي غابريال غارسيا ماركيز، أما عنوانها الأصلي باللغة الإسبانية هو "el amor en pas tiempos del coléra" وقد كتبت باللغة الإسبانية ونشرت في كولومبيا عام 1985 م، وهي رواية « تنتمي إلى مدرسة " الواقعية السحرية" التي اشتهر بها كتاب أمريكا اللاتينية، وقد نالت صدى كبير حين صدورها وما يزال مستمرا حتى الآن ¹، وقد ترجمت هذه الرواية إلى العديد من لغات العالم ومنها الترجمة العربية التي قدمها "صالح علماني" إلى جانب أعمال أخرى لماركيز منها:

1/ الجنرال في متاهة

2/ ساعة نحس

3/ الكولونيل لا يجد من يكاتبه

4/ عشت لأروي

5/ ذاكرة غائياتي الحزينات

6/ مائة عام من العزلة

8/ قصة موت معلن

1- حجم وشكل الرواية:

اعتمدت في هذه الدراسة على رواية "الحب في زمن الكوليرا" التي قام صالح علماني بترجمتها، وقد اعتمدت على الترجمة العربية لأن النسخة الأصلية كتبت باللغة الإسبانية وبالتالي ستكون العملية شاقة.

وقد تعددت طبعات الترجمة، وكان لكل طبعة غلاف مختلف عن غلاف الطبعة التي سبقتها، أما الطبعة التي اعتمدت عليها في البحث هي الطبعة الأولى والتي صدرت عام

¹ - غابريال غارسيا ماركيز ، الحب في زمن الكوليرا . غلاف الكتاب

1991 م، عن دار دانية للطباعة والنشر، بدمشق وبيروت وقد جاءت الرواية في 307 صفحة، وقد قسمها صالح علماني انطلاقاً من النسخة الأصلية إلى ستة فصول ولكنها ليست معنونة، حيث أن :

- الفصل الأول يبدأ من الصفحة 01 إلى الصفحة 54

- الفصل الثاني يبدأ من لصفحة 55 إلى الصفحة 98

- الفصل الثالث يبدأ من الصفحة 99 إلى الصفحة 148

- الفصل الرابع يبدأ من الصفحة 149 إلى الصفحة 200

- الفصل الخامس يبدأ من الصفحة 201 إلى الصفحة 246

- الفصل السادس يبدأ من الصفحة 247 إلى الصفحة 307

هذا في ما يخص حجم الرواية، أما عن شكل الرواية فقد جاء في شكل كتاب طوله 21 سم وعرضه 15 سم، أما نوعية الورق فهو ورق أبيض غير رث أي نوعية جيدة نوع.(A)

2- غلاف الرواية:

جاءت الطبعة الأولى للرواية عام 1991 بغلاف باللون الأزرق الذي يغطي غلاف الكتاب كله¹، وكما هو معلوم أن للألوان تأثيرات على الشخصية وأبعادها الخاصة، نستطيع من خلالها تحليل بعض الأمور.

وكما سبق وأن ذكرنا، أن الغلاف جاء باللون الأزرق، هذا اللون الذي يعد لون الثقة والسلام، ويمكن أن يشير إلى الولاء والنزاهة والتحفّظ، وإذا ما طبقنا هذه القيم والمفاهيم على الرواية نجد أنها تدل على ما قام به المترجم، فقد حاول أن يقوم بترجمته بكل نزاهة وولاء، كما يشير هذا اللون إلى الهدوء والجدية ويعتبر أيضاً رمزاً للمعاني المطلقة، وهذا ما نجده في الرواية، فبالرغم مما تحمله من مواضيع وأحداث وشخصيات إلا أن القارئ يحس بالهدوء التام، أما عن الجدية فهي تظهر من خلال معالجة ماركيز لموضوعات الرواية بجدية دون سخرية ولا هزل.

¹ - غابريال غارسيا ماركيز، "الحب في زمن الكوليرا"، غلاف الكتاب

كما يشير اللون الأزرق إلى الحب والمساحات الواسعة، وهو لون النفوس الحساسة وخير دليل على هذا هو عنوان الرواية وهو الحب، حتى وإن اقترن هذا الحب بزمن صعب كزمن الكوليرا.

كما يشير اللون الأزرق إلى الإخلاص والوفاء والصراحة والصدق، وأبرز أدلته على الوفاء والإخلاص في النص هو وفاء "فلورينتيو أريثا" في حبه وإخلاصه للبطل "فيرمينا داثا"، وصدقه في ذلك، كذلك نجد أن هذا البطل وبعد العديد من الأعمال وعندما أصبح مديرا في شركة الملاحة النهرية أصبح يمتلك سفن، وقد سمي إحدى هذه السفن بالوفاء .

كما يدل اللون الأزرق إلى الميل إلى الصداقات سوى أكانت دائمة أو عابرة ، ويبرز ذلك من خلال علاقات الصداقة التي تجمع بين "فلورينتيو أريثا"، والعديد من النساء، كذلك بعض اللاجئين وأبرزهم اللاجئين الأنتيلي "جيرميا دي سانت أمور" والمهاجرة الألمانية "لوتاباغوت".

كما يدل اللون الأزرق على الفضاء الواسع ولون البحر والأنهار، ويبرز ذلك من خلال الرحلات التي قام بها أبطال الرواية في نهر الكاريبي ونهر مجدلينا، وهو أيضا رمز للحكمة والعقل، كما يدل على أن مستخدمه بأنه يعرف الصداقات الحقيقية مع تقديرها لها إلى جانب احترام العلاقات الإنسانية .

كما يدل أيضا هذا اللون على أن مستخدمه محب للسكينة، وعارف لمعنى الاكتئاب الذي غالبا ما يصيبه، لكن يبقى محب هذا اللون يحظى بشعبية واسعة ومحبين كثر، ونلمس هذه النقطة في العديد من الجوانب، فغارسيا ماركيز له شعبية واسعة ومحبه لا يعدون .

أما عن الرواية فنجد أن "خوفينال أورينو" يحظى بشعبية واسعة كونه طبيبا بارعا ومشهورا، وهو من ذوي الألقاب الكبيرة، أما "فلورينتيو أريثا" كونه ابن امرأة عازبة إلا أنه استطاع أن يفرض نفسه ويضع له مكانة مرموقة في المجتمع .

كما أن المتأمل الجيد لغلاف الرواية سيجده لونا أزرقا مائلا إلى اللون البنفسجي¹، هذا اللون الذي يدل على التناسق، وهو لون روحاني يشجع الحس السليم، والنظرة المتوازنة

¹-المرجع السابق، غلاف الرواية

للحياة، وهو أيضا يدل على العظمة والفخامة والتميز كما يدل على الثقة بالنفس، وإذا ما طبقنا هذه الصفات على ماركيز لوحده لوجدناه تتطبق عليه أيما تطابق .

كما نجد على صفحة الغلاف مكتوب تاريخ 1982 م، وهو يعني تاريخ حصول ماركيز على جائزة نوبل للآداب¹.

كما نجد اسم غابريال غارسيا ماركيز والذي كتب بخط غليظ وبلون اسود ليدل على الصرامة والغموض والحزن وكذلك الأناقة والرقى.

أما عنوان الرواية " الحب في زمن الكوليرا " فقد كتب باللون الأحمر، وهذا اللون يدل على قوة الحسم.

كما نجد على صفحة الغلاف صورة لماركيز وهو جالس واضعا يده على خده، و التي ربما تدل على التشاؤم والتفكير، ونجده مضيئا إلى ذلك ابتسامته الجميلة²، وربما قصد المترجم من خلاله التعريف بصاحب الرواية الأصلية ليعرف القارئ بالمؤلف إلى جانب تعرفه وإطلاعه على أعماله وكتابات، وربما هذه الوضعية التي يظهر بها ماركيز تدل على التواضع من جهة والثقة بالنفس من جهة أخرى .

كما نجد عليها اسم "صالح علماني" وهو مترجم الرواية.³

أما الصفحة التي تلي الغلاف، والتي نجد عليها اسم الروائي غابريال غارسيا ماركيز وأسفله عنوان الرواية الذي كتب بخط غلظ وأسود⁴، أيضا وبدل على موضوعية التي تصف بها الكاتب كما تدل على انه إنسان علمي بطبعه جذاب وجدي في عمله وفخور به إلى جانب الخيال الواسع الذي يتمتع به .

بعدها تأتي صفحة موالية تحتوي على نبذة وجيزة على حياة ماركيز بدءا بمولده ثم بمشواره الدراسي إضافة إلى أبرز أعماله وقيمه الأدبية⁵.

¹-المرجع السابق.

²-المرجع نفسه.

³-المرجع نفسه .

⁴-المرجع نفسه ص 03.

⁵-المرجع نفسه، الغلاف الأمامي للرواية. ص 05.

هذا فيما يخص الجهة الأمامية للغلاف، أما الجهة الخلفية فنجد اسم غابريال غارسيا ماركيز إلى جانب نبذة مختصرة عن حياته.¹

3- عتبة العنوان:

جاء عنوان الكتاب مبتدئا بكلمة "الحب" ذلك أن الموضوع الأول في الرواية هو الحب، ولأن هذه المفردة لوحدها لا تف بالغرض خاصة، ولأن قصة الحب هذه حزينة وفي وسط حزين، كما لابد لماركيز أن يضيف لها "في زمن الكوليرا"، هذه الأخيرة التي حضرت كبطل رئيسي في الرواية كوحش منتشر في منطقة الكاريبي ذات الحر الخانق والفقر المدقع .

وهذا المرض الذي حصد العديد من الجثث الملقاة في الشوارع، ولا ينفذ منها الشعب صغارا كانوا أم كبارا، بل لم ينفذ منها حتى الأطباء « وقد تسبب في موت ربع عدد السكان خلال ثلاثة أشهر بما في ذلك أبوه الذي كان طبيبا بارزا أيضا »² .

وقد كان هذا العنوان ملفتا للانتباه بدرجة كبيرة، لأنه لا يترك فرصة لأحد تجاهله على الإطلاق، فالكاتب هنا يتحدث عن الحب، وهو الشيء الوحيد الذي يظل الإنسان يبحث عنه جاهدا، إلا أن هذا الحب يقترن بزمن صعب وهو زمن الكوليرا، وكما هو معروف أنه مرض قاتل ولا علاج له في ذلك الزمن ونقصد القرن التاسع عشر.

ومن هنا نجد العنوان يجعل القارئ يشعر بحيرة وفضول ورغبة في معرفة إذا ما كان هنالك حب في زمن مثل هذا الزمن - زمن الكوليرا- خاصة وأنه من المفترض بديهيا أنه ينشغل الناس بالهروب من منطقة الوباء، والبحث عن دواء له، بل ويجعله يتساءل عن ما يميز الحب في هذا الزمن عن الحب في زمن آخر ؟

كما أن القارئ للوهلة الأولى لدى قراءته للعنوان، قد يؤول في البداية بأن الرواية تحكي قصة حب بين اثنين وفي الأخير يصاب أحد العاشقين بداء الكوليرا ويموت ويترك الطرف الثاني وحيدا لكن الحقيقة ليست كذلك وهو ما سنوضحه في النصر الموالي.

¹-المرجع السابق، الغلاف الأمامي للرواية

²- المرجع نفسه الغلاف الأمامي للرواية

ثانيا: دراسة الرواية من الناحية الموضوعية:

1- مضمون الرواية:

إن مضمون رواية الحب في زمن الكوليرا هو قصة حب أعمى وعميق، يكنه شاب يدعى "فلورينتيواريثا"، الذي يعمل في مكتب البريد، ثم في مركز التلغراف في إحدى جمهوريات الموز منذ المراهقة، لفتاة صبية وآية في الجمال واسمها "فيرمينا داثا" وهي على مقاعد الدراسة، وقد كانا يتبدلان الحب عبر الرسائل لفترة من الزمن إلى أن تسببت تلك الرسائل في طردها من المدرسة .

كان يعيش "فلورينتيواريثا" مع أمه "ترانسيثا أريثا" في بيت واسع لوحدهما كون والده لم يعترف به كابن له أصلا، رغم أنه ينفق عليه إلا أن ذلك يتم بسرية تامة، فيما كانت تعيش "فرمينا داث" مع والدها "لورنيتوداثا" وعمتها العازبة "اسكولاستيكا" والتي طردها والد "فيرمينا" من البيت إلى الأبد، عندما علم بأنها هي التي كانت تساعد فرمينا داثا على تبادل الرسائل مع عامل التلغراف، وبعدها قرر الرحيل من المنطقة مع ابنته متجهين إلى قرية صهره (خال فرمينا داثا)، وقد بقي مدة ثلاثة سنوات تقريبا في تلك المنطقة ظنا منه أنها لم تعد على علاقة به وليست على علم بما يفعل، وقد تكون نسيتها ومحتة من ذاكرتها، في الوقت الذي كانا يرسلان بعضهما سرا بعد أن بحث عنها مدة من الزمن.

وبعد المدة التي قضاها في بلدة صهره مسقط رأس زوجته قرر العودة مع ابنته التي سلمها شؤون البيت آملا في إيجاد زوج يليق بابنته ويكون من ذوي الألقاب الكبيرة، إلى أن جاء اليوم الذي عاد فيه الطبيب الشاب اللامع الذي عاد أكثر شبابا وهو "خوفينال أورينيو" من باريس بعد أن قضى مدة طويلة للدراسة في مجال الطب والجراحة، وقد كان الوالد يبحث له عن ذرائع يجعل من خلالها ابنته تتعرف عليه، إلى أن حصل ذلك بعد أن طلب منه الحضور إلى منزله من أجل معاينتها، خوفا من أن تكون قد أصيبت بداء الكوليرا، ومن هنا تحقق هدف الوالد، فقد تكررت زيارات الدكتور إلى منزلها يدعي السؤال عن حالتها وفحصها.

وقد تعرفا على بعضهما إلى أن وصلا لدرجة أن الطبيب أفصح عن إعجابه بها طالبا يدها للزواج، وظل يزورها مرارا وتكرارا لإقناعها بقبول عرض الزواج، وما كان بوسعها

الرفض لعدة أسباب أهمها الطريقة التي أصبحت تتعامل بها مع والدها فالعلاقة أصبحت جد سطحية، إلى جانب كون أن والدها قد وضع شرطا لزواجها وهو أن يكون المتقدم من ذوي الألقاب الكبيرة (أي الأغنياء)، وقد كان هذا الطبيب مناسبا لشرط الوالد عكس " فلورينتيو أريثا" الشاب الفقير، والذي هو ابن لامرأة عازبة، وبعد أن حصل الطبيب "خوفينال أوريثو" على ما أراد، هو موافقة فيرمينا داثا على الزواج منه، تم الزواج في فترة قصيرة وسافرا إلى باريس لقضاء فترة فيها إلى أن أنجبت منه بنتا وولدا.

وفي الوقت الذي كانا الزوجان يستمتعان بمناظر باريس كان فلورينتيو يبكي ليال طويلة في حضن أمه كطفل صغير، وقد سبب له ذلك أن أصيب بالحمى وبعض الحالات النفسية كالإكتئاب، ورغم كل ما يمر به إلا أنه كان رافضا رفضا شديدا فكرة الزواج منتظرا الفرصة المواتية ليطلب من فتاة أحلامه العيش معا.

عادت " فرمينا داثا" وزوجها الطبيب " خوفينال أوريثو " من رحلتهم إلى باريس وعاشا في بيت العائلة مع أمه وشقيقتيه، بينما كان فلورينتيو يحاول التخفيض من ألمه وذلك من خلال علاقات عابرة مع النساء العازبات، والأرامل، بل وحتى المتزوجات الخائفات، وكان ذلك دون حب، أو رغبة في الزواج، إلى جانب ذلك حاول "فلورينتيو أريثا" هذا العاشق المهزوم جاهدا لأن يجعل له اسما لامعا، ويكون ثروة حتى يكون جديرا بمن أحب، وقد بقي هذا العاشق رغم زواجها من الدكتور أوريثو وعلاقاته هو مع النساء العابرات، إلا أنه لم يكف عن حبها طوال أكثر من خمسين عاما منتظرا ذلك اليوم الذي ينتصر فيه حبه لها .

وإن قارئ الرواية سيكتشف إصرار "فلورينتيو أريثا" على الوصول لهدفه في الزواج من "فرمينا داثا"، وإن عدم زواجه دليل على هذا الإصرار كما أنه أراد أن يكون ذلك دليلا على وفائه وإخلاصه وحبه لها .

والى جانب هذا، فقد كان يحاول أن يكون قريبا منها، وقد فعل ذلك بأن حاول التعرف على الدكتور أوريثو بكل الطرق وبأي صفة، خاصة وأنه لم يبق مجرد عامل تلغراف، بل ارتقى في عمله لمراتب عدة سمحت له بالتقرب من الدكتور، ولقد كان أغلب لقاءاتهم من خلال المناسبات كأعياد الميلاد، ويوم العنصرة والتي لا يلتقي فيها إلا ذوي الألقاب الكبيرة، فالدكتور أوريثو اشتهر بعائلته وثروته، وعمله كطبيب، أما فلورينتيو فقد أصبح بعد تقلده

لمناصب عدة، في شركة الملاحة النهرية مديرا لها وهو ما سهل له مبتغاه، إلى أن جاء فيه اليوم الذي لقي فيه الدكتور حتفه لما بلغ من العمر ثمانين عام ، إثر سقوطه من على السلم في بيته بعد أن حاول الإمساك ببغاء كان يعيش في منزله.

وعندما سمع فلورينتيو بخبر وفاة الطبيب، كونه يترصّد أخبار عائلة "فرمينيا" الجديدة بكل التفاصيل، جاء ليقدم تعازيه ويحظر لمراسم الدفن بصفته صديقا للعائلة، ورغم كون هذا اليوم أول يوم لوفاته إلا أن فلورينتيو لم يعد قادرا على التمهّل أكثر مما تمهّل، ولا يستطيع أن ينتظر أكثر مما ينتظر، فقد كان متعجلا ومتسرعاً لتقديم عهد الحب لفرمينيا داثا، ما جعلها تطرده بكيل من الشتائم.

ولكن ذلك لم يجعله يفقد الأمل أبدا بل رغم حزنه على وفاة الدكتور أوربينيو، إلا أنه اعتبر من جهة أخرى أن هذه هي الفرصة التي انتظرها منذ أكثر من نصف قرن، فقد استمر في محاولة كسب صداقتها بطريقة عقلية، وذلك من خلال الرسائل التي أصبح يرسلها كل يوم، والتي كانت عبارة عن تأملات في الحياة والزواج والموت والشيخوخة، آملا أن تقبل به شيئا فشيئا وقد كان بتشجيع من ابنها، الذي كان يفرح لأن أمه وجدت رفيقا من سنّها يتفاهم معها وينسيتها حزنها، ويخرجها من وحدتها فيما ترى ابنتها عكس ذلك، فقد اعتبرت الحب في هذا السن هو بمثابة قذارة، ما أدى بالأم "فرمينيا" بطردها من البيت وعدم السماح لها بالعودة مرة ثانية رغم أي محاولة منها لذلك .

و في الأخير بعد أن تطورت العلاقة، قام فلورينتيو بدعوة فرمينيا داثا لرحلة بحرية على متن سفينة تمتلكها شركته، ولما أحست بإصراره على ذلك وافقت، وهناك بدأ يتقرب منها أكثر لتدرك أنها تحبه، رغم شعورها بأن عمرها السبعين لا يصلح للحب، وما كان هذا ليمنع فلورينتيو أريثا من الاستمرار بالأمل والسعي لراحته، وقد وصل إلى ما أراد .

و في آخر يوم من أيام الرحلة، والتي كان من المفترض أن يعود فيها إلى البيت لكن فلورينتيو أريثا شعر برغبة بالبقاء معها، وهو نفس شعورها، فما كان عليهما أن إلا أن يختلقا كذبة، وهي أن السفينة عليها وباء الكوليرا، وقد حجزوا فيها المصابين، مبررين ذلك بخوفهم من انتقال العدوى وانتشارها، وقد فعل ذلك لكي لا ينهي الرحلة ويكون الفراق وبقي

فلورينتيو مع فرمينا داثا في السفينة ذهابا وإيابا، لقضاء وقت أطول مع بعضهما البعض إلى جانب القبطان فقط، رافعين علم الوباء الأصفر، دون أن ترسو في أي مكان .

إن قصة الحب الحزينة هذه، كانت في الوقت الذي كان داء الكوليرا* قد افتك بسكان الكاريبي بأكملها لدرجة أن ضحاياه كانوا يسقطون بالعشرين في الشوارع دون وجود أي علاج له، وقد أصيب العديد من السكان فقراء كانوا أم أغنياء دون التمييز بينهم، بل وحتى الأطباء أنفسهم، وأبرزهم الدكتور أوربينو والد خوفينال أوربينو.

و في ثنايا الرواية نجد أن ماركيز يتحدث عن الحروب الأهلية، والتي لطالما عانى منها الشعب، وما خلفتها من دماء، وفقر مدقع، وكان هذا الدمار والفقر في ظل التطور التكنولوجي الذي عرفه البلد وماله من تأثيرات على نهر مجدلينا.

إضافة إلى تفاصيل العديد من الشخصيات رئيسية كانت أم ثانوية.

ثالثا: الشخصيات في الرواية:

اكتسبت كلمة "الشخصية" في الرواية مفاهيم متعددة، لتعدد وجهات نظر الأدباء، والنقاد لكن معناها على حد قول "فتحي إبراهيم" أنها: «مجل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي... وهي تشير إلى الصفات الخلقية والمعايير والمبادئ الأخلاقية»¹، أي أن الشخصية هي مجموعة من الصفات التي تتميز بها عن غيرها، وقد اعتمد الكاتب في هذه الرواية، وهو يبني حياتها الداخلية والخارجية على أكثر من أربعين شخصية، وفي ضوء هذا نتساءل من أين يلتقط ماركيز شخصياته؟ وكيف كان يرسمها؟ هل يلتقطها من حياته اليومية المعيشية أم أنها من وحي خياله؟

إن شخصيات الرواية هي شخصيات ثابتة، تنتمي إلى مختلف الطبقات الفقيرة منها والغنية، ولكن أغلب شخصياته من وحي خياله، فهو لم يقابلهم يوما لكن رغم ذلك إلا أننا لا نحس بأنها من نسج الخيال، فقد كان راويا ماهرا « الراوي الماهر هو من تغلبت أشخاصه

*- داء الكوليرا هو مرض معدي اجتاح العديد من دول القارة الأمريكية اللاتينية وخاصة كولومبيا وخاصة منذ القرن التاسع عشر.

¹- إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1986، 1 م

واستولت عليه، وجعل القارئ يعرفونهم ويتعاطفون معهم، ويحبونهم ويكرهونهم، وذلك يجعلهم متحركين ويبقيهم في أذهان القراء بعد ترك الرواية أو نسيان تفاصيلها نتيجة لتشخيصه لهم»¹، وهذا ما حصل مع شخصيات الرواية فقد جعل ماركيز القارئ يتفاعل مع شخصيات الرواية، فهو يجعل القارئ يحس بمشاعر متناقضة نحو هذه الشخصيات، حتى أنه يجعل القارئ يشفق على فلورينتينو أريثا وما عاناه من فراق حبيبته، ويفرح للقائهم من جديد بعد نصف قرن أو أكثر، ويحزن لطرد لورينتودا للعمة اسكولاتيكا وخبر وفاتها ويشعر بحقد اتجاه والد فرمينا لكونه السبب الرئيسي في فراق ابنته عن عاشقها "فلورينتينو أريثا".

1- رسم الشخصيات:

لكل كاتب طريقة معينة في رسم الشخصيات الروائية، وغالبا ما يعتمد إحدى الطريقتين المباشرة أو غير المباشرة :

أ/ **الطريقة الغير مباشرة :** وهي «التي يفسح الكاتب فيها المجال للشخصية لتعبر عن أفكارها وعواطفها واتجاهاتها وميولها لتكشف لنا عن حقيقتها»²، ولكن ماركيز قلما يستخدم هذه الطريقة حيث نجد أنه نادرا ما يستعملها الكاتب حيث نجدها لأول مرة في الفصل الرابع من الرواية وذلك خلال حديث العم ليون الثاني عشر (عم فلورينتينو) عن حياته البسيطة وكان قد اتهمه أحدهم أنه ثري فقال: « لست ثري ... أنا فقير لا أملك مالا وهو شيء مختلف»³.

ب/ **الطريقة المباشرة :** «و هي التي يصور الكاتب فيها الأشخاص من الخارج ويحلل عواطفهم ودوافعهم وإحساساتهم وكثيرا ما يصدر أحكامه عليهم»⁴، وهذا ما نجده في رواية "الحب في زمن الكوليرا" ومن أمثاله عندما تحدث ماركيز عن فتاة قد أرسلتها عائلتها للدراسة يقول عنها « اسمها " أميركا فيكونيا " وكانت قد جاءت قبل سنتين من بلدها بويرتو بادري البحيرة" مبعوثة من أهلها إلى فلورينتينو أريثا ولي أمرها الذي تربطهم به صلة قرابة معروفة... بدت كدمية حين وصولها بصرة سفرها وحقيبتها الصحفية ... كانت ما تزال طفلة بكل ما

¹- دار غطاشة، و راضي حسين قضية النقد العربي ، مكتبة الثقافة، عمان، الأردن ط2، 1991 م ، ص 126.

²- محمد يوسف نجم، فن القصة دار الثقافة .بيروت ، ط 5 ، 1966م ص 68

³- غابريال غارسيا ماركيز ، الحب في زمن الكوليرا ص 150

⁴- محمد يوسف نجم، فن القصة ، ص 98

في ذلك من معنى القلح في أسنانها، وقروح المدرسة الابتدائية في ركبتيها»¹، أو حديثه عن فلورينتينو أريثا وقضية نسبه يقول : « لقد مات "ليون الخامس لواتيا" عندما كان ابنه في العاشرة من عمره ورغم أنه كان يتولى دوماً أمر نفقاته سرا فإنه لم يعترف به أبداً كابن له أمام القانون... كان على فلورينتيو أريثا أن يترك المدرسة ليعمل كمتمرن في وكالة البريد...»²

فقد قدم ماركيز تفصيلاً على الشخصيات الروائية وعن حياة "فلورينتينو أريثا" بالتحديد بطريقة مباشرة، ولكن لم تحظ شخصياته بالتعريف عن نفسها وتقديمها .

2- أقسام الشخصيات:

تتقسم الشخصيات إلى قسمين وهما:

أ- الشخصية النامية:

تعد هذه الشخصية في نظر "محمد يوسف نجم" أنها تلك الشخصية التي « تتكشف لنا تدريجياً وتتطور بتطور حوادثها، و يكون تطوراً ظاهراً أو خفياً، وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق»³.

أي أن هذه الشخصية تكون قادرة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة، فإذا لم نتفاجأ منها فهي ليست شخصية نامية.

ومن أمثلة ذلك نجد بطل الرواية الذي بدأ ماركيز بالحديث عنه وهو في سن الخامسة من عمره، وصولاً إلى تركه للدراسة واعتماده على نفسه، ثم عمله في مكتب البريد وبعده مركز التلغراف وصولاً إلى عمله في شركة الملاحة النهرية التي أصبح مديراً لها ومسئولاً عنها ووريثاً وحيداً لها، فبعد أن ترك دراسته لفقره وعدم قدرته على تحمل مسؤولية تكاليف المدرسة أصبح مالكا لأضعاف ما لم يكن يتوقع أن يملكه يوماً،

كذلك نجد "فرمينا داثا" التي عرفناها في بداية الرواية بأنها تعيش حياة عادية مع والدها القاسي، وتعيش على أوامره ومطبعة له، إلى أن جاء اليوم الذي تطرد فيه العمدة "اسكولاتيكا"

¹ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا ص 241

² - المرجع نفسه ص 55

³ - محمد يوسف نجم، فن القصة، ص 104

من البيت لتصبح هي المسؤولة على البيت المتواضع، كذلك قرار خطبتها في البداية من فلورينتينو أريثا الشاب الفقير الذي يعمل في مكتب بريد إلى زواجها من طبيب مشهور، فأصبحت امرأة ثرية ومشهورة بعد أن كانت بائسة في أيامها مع والدها إلى غاية وفاة حماتها ورحيل شقيقتي زوجها...، ووفاة زوجها وزواج ابنها فأصبحت تملك القصر الذي تعيش فيه، إضافة إلى الاسم الذي يعرف به، وفي الأخير عودتها لحبيبها الأول الذي يملك شركة بأكملها، ويملك سفن تسير رهن إشارته.

وتعد هذه التقنية أهم تقنيات ماركيز، فقد كانت شخصيته تسعى للتعبير بحيث انتقلت من مكان إلى آخر بغض النظر عما يلاقيها من عواقب.

ب- الشخصيات الثابتة:

تعرف هذه الشخصيات بالثابتة، أو الجامدة، أو النمطية، وهي التي تبنى حول فكرة واحدة ولا تتغير طوال الرواية « فلا تتطور وتفقد التركيب ولا تدهش القارئ أبدا بما تقوله أو تفعله... »¹.

ورغم كون هذه الشخصيات ثابتة لا تدهش القارئ إلا أن هذا الروائي يبقى بحاجة للشخصيات النمطية لسد الثغرات النفسية، والتحام ما يجري في الرواية، والعالم الواقعي بقدر حاجته للشخصيات المتطورة، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك هي تلك الفتيات والأرامل اللاتي يتعرف عليهن فلورينتينو أريثا، ويقوم معهن علاقات عابرة فهي شخصيات نمطية ولا تحضر في جميع أحداث الرواية، إلا أنها سدت ثغرة مهمة وهي بقاء فلورينتينو أريثا أكثر من خمسين سنة في انتظار فرصة ليعيش مع حبيبته، فقد كان يسد فراغه من خلالهن ليخرجنه من وحدته القائلة رغم كون الدور البسيط الذي ظهرت به .

3_ الشخصيات والأحداث:

يمكن تقسيم الشخصيات حسب ارتباطها بالأحداث إلى قسمين:

¹ - صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني،جماليات السرد في الخطاب الروائي ص 135

أ/الشخصيات الرئيسية: يوجد في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي فالشخصية الرئيسية هي « التي تقوم بالفعل وترفعه إلى الأمام... »¹

وفي رواية "الحب في زمن الكوليرا" نجدها تتمحور خلال ثلاثة شخصيات رئيسية متناوبة ومتفاعلة القطب.

وهي "فيرمينا داثا": «الزوجة العنيدة والمثالية بكل أطورها الغربية منذ سنوات المراهقة».²

« درست في حياتها المبكرة في مدرسة ظهور العذراء المقدسة، حيث تتعلم بنات المجتمع الراقي فن، ومهنة التحول إلى زوجات مدبرات ومطيعات »³، « هي بنت رجل ذي سمعة سيئة يعمل كتاجر للبغال وسارق المواشي »⁴، وهي التي زوجة الطبيب خوفينال أوروبينو رغم كونها حبيبة فلورينتينو أريثا .

فلورينتينو أريثا : « ينتمي لعائلة فلاحية ابتدأ حياته كمستخدم بسيط في التلغراف، إلى أن أصبح يرأس شركة الكاريبي للملاحة النهرية ووريثا لأملاكها، عاش كشخصية باهتة موحية بالكآبة، والعطف، والخجل إلا أن روحه الداخلية كانت مشحونة بالعاطفة والاحتراق، يمتلكها هاجس التوحد واستعذاب الألم »⁵.

وهو ذلك الشاب الذي أحب فيرمينا داثا، منذ تلك اللحظة التي أتى فيها إلى بيتها، حاملا برقية إلى والدها عندما كان يعمل كمستخدم في التلغراف .

خوفينال أوروبينو: هو ذلك الطبيب الذي قدم من باريس بعد أن رحل لإكمال دراسته في الطب وهو زوج فيرمينا داثا، كان ينتمي إلى عائلة نبيلة .

ب- الشخصيات الثانوية:

وهي تتضمن الرواية إلى شخصيات ثانوية أيضا تلك « التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، وتكون إما عاملا كشف عن الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها وإما

¹ - المرجع السابق، ص 135.

² - بدر عبد الملك ، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجا". ص194.

³ - غابريال غارسيا ماركيز ، الحب في زمن الكوليرا. ص57.

⁴ - بدر عبد الملك ، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجا". ص195.

⁵ - المرجع نفسه، ص 193.

تابعا لها، تدور في فلكها»¹، أي أنها تساعد على كشف أشياء تخص الشخصيات الرئيسية التي لم تذكرها عن نفسها.

وقد كانت الشخصيات الثانوية في الرواية عديدة ومختلفة سواء في التفكير، أو في المشاعر، أو من حيث قيمها، فكل شخصية ثانوية قيمها التي تتميز بها عن الشخصية الأخرى، وقد بلغ عدد الشخصيات الثانوية في الرواية أكثر من ستين شخصية، هذا مع أنه توجد شخصيات ثانوية ذكرت لمجرد الإضافة فقط أو بتوضيح فكرة فقط فمنها :

اللاجئ الأنتيلي : "جير ميادي سانت أمور": مصور الأطفال ومشوه الحرب ، « أكثر خصومه رافة في لعبة الشطرنج، تخلص من عذابات الذكرى باستنشاق أبخرة سيانور الذهب...»².

« كان يحب الحياة بعاطفة مبهمة، كان يحب البحر، يحب كلبه ،ويحب المرأة التي تسكن معه، كان يعتبره الدكتور قديسا يجهل فضل ذاته ..، لكنه كشف في رسالة لم يكن سوى هاربا ومحكوم عليه بالمؤبد لجريمة فضيحة اقترفها »³.

« كان الأكثر احتراما في سلوكه والأكثر فعالية وجدية »⁴.

الكلب : « دانمركي ضخم أسود اللون كان تقبع على جسمه بقع بلون الثلج...»⁵.

المفوض : «هو موظف جدي وذليل جاء لمعرفة سبب موت اللاجئ »⁶.

لاتيديس أوليفيا : «هو تلميذ الدكتور خوفينال أوربينو الذي أقام وليمة غداء، احتفالا بيوبيله الفضي في مهنة الطب»⁷.

غاليلو داكونتي: «هو أول من افتتح فناء سينما وكان اللاجئ أول زبائنه »⁸.

¹ - صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني،جماليات السرد في الخطاب الروائي،ص 136

² - غابريال غارسيا ماركيز،"الحب في زمن الكوليرا"،ص 08

³ - المرجع نفسه ص 11

⁴ - المرجع نفسه ص 17

⁵ - المرجع نفسه ص 08

⁶ - المرجع نفسه ص 09

⁷ - المرجع نفسه ص 11

⁸ - المرجع نفسه ص 14

صديقة اللاجئ : «امرأة ناضجة، مشحونة بالسواد، وتضع وردة على أذننها، ورغم سنوات عمرها التي لم تكن أقل من الأربعين فإنها مازالت تبدو خلابة »¹.

أمينتا ديتشا مباس : «هي زوجة الدكتور لاثيديس أوليفيا، أعدت كل شيء من أجل غداء اليوبيل الفضي، وهو خمسيني ذو مظهر أنثوي محتفظ جيد بقواه ولا علاقة لروحه الاحتفالية بشخصيته الطيبة الصائبة»².

الشاب المتمرن : « وهو شاب ذي وجه وردي، وهو ابن وزير الوقاية الصحية »³، جاء لتحضير أطروحة في الطب الشرعي .

ماركو أوريليو أورينيو داثا: هو ابن الطبيب خوفينال أورينيو « وهو شخص لا مبال...»⁴. مبال...»⁴.

والد خوفينال أورينيو : «كان طبيب بارز أسس المؤسسة الطبية وهي المؤسسة الأولى والوحيدة في أقاليم الكاريبي لسنوات طويلة، كان رئيسا لها مدى الحياة »⁵.

لورينيو داثا : كان هو والد فرمينا داثا « كان رجلا ذو موارد لأنه يعيش دون ممارسة مهنة معروفة »⁶. إلى غيرها من الشخصيات في الرواية .

وفي الأخير : نجد أن ماركيز « يكشف عن ملامح شخصياته الرئيسية وحتى الثانوية وأوضاعهم الخارجية والطبيعية وتركيبهم النفسي والفكري، انتمائهم العائلي، وثقافتهم وجذورهم...»⁷، كما أن دور الشخصيات الثانوية في تصعيد الحدث وصنع الحكمة فهو لا يقل أهمية عن دور الشخصيات الرئيسة، رغم أنها شخصيات متأثرة في كل الرواية إلا أنها تساعد الشخصية الرئيسية في أداء مهمتها وإبراز الحدث .

¹ - المرجع السابق، ص 35.

² - المرجع نفسه، ص 39.

³ - المرجع نفسه، ص 41.

⁴ - المرجع نفسه، ص 43.

⁵ - المرجع نفسه، ص 47.

⁶ - المرجع نفسه، ص 57.

⁷ - بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجاً". ص 174.

رابعاً: الأحداث في الرواية:

تحكي الرواية في البداية عن وفاة اللاجئ الأنطيلي "جير ميا دي سانت أمور" الذي مات منتحراً باستنشاقه لسيانور الذهب متخلصاً من عذاب الذكريات.

ولكن الأحداث في الرواية كثيرة ويصعب عرضها ولكن سنحاول حصرها فيما يلي:

إن مركز يستهل روايته بالحديث عن اللوز المر والغراميات الكئيبة في طريق الطبيب خوفينال أوربينيو، الذي هو أحد أبطال الرواية الذي ذهب من أجل معاينة جثة صديقه الميت، الذي مات منتحراً باستنشاقه أبخرة سيانور الذهب من دون معرفتنا للحقائق الكاملة، والتي تبقى في الرواية دائماً عنصراً ناقصاً ويكشف لنا بعضها لاحقاً في الرواية كجزء من أسرار حياة تلك الشخصية المخادعة والغريبة، وهو اللاجئ الأنطيلي "جيرميا دي سانت أمور" مشوه حرب ومصور أطفال، وأكثر خصومه رافة في لعبة الشطرنج، والذي يكشف حقيقته هويته بعد قراءته الرسالة التي تركها له مع عشيقته.

هذه الشخصية التي نكتشف فيما بعد أنها شخصية زائدة في الرواية، وأنه مجرد حدث ثانوي، ويتحدث ماركيز في هذا الأمر بنوع من التفصيل المنقطع، الذي يخلق فضولاً لدى القارئ لمعرفة سبب وفاته، وعن سبب قدومه لهذه المنطقة، حيث يحكي عن مجيء مفوض الشرطة والشاب المتمرن المتخصص في الطب الشرعي، لمعرفة سبب وفاته وإجراء تحريات حول الأمر ثم ليقطع ذلك ليسرد بطريقة "فلاش باك" بقية الأحداث، حيث يحكي بعد ذلك عن شخصية الطبيب وعمله وهو في سن الثمانين، وعن دروسه التي يقدمها ويحضرها كل يوم قبل إلقائها، إلى غير ذلك من تفاصيل حول حياة هذا الطبيب حيث يحكي ماركيز عن شخصية هذا الطبيب وعن عاداته وليعود ليستطرد ليتحدث عن اللاجئ ومعاراته عند وصوله إلى المنطقة وتعرف هذه الطريقة أيضاً بالاسترجاع.

كما يحكي عن عودته من باريس بعد أن أتم دراسته في الطب الشرعي مع نوع التفصيل لذلك، وعن عاداته في لعبة الشطرنج مع اللاجئ الأنطيلي، ليعود ليحكي بخصوصه بعد وفاته بأن أمر بأن لا تعطي أي معلومات عن سبب وفاته للصحافة، لكيلا يتضخم الأمر أكثر مما هو عليه لأن هذا المصور يحظى بشهرة واسعة، وبالتالي على الصحافة أن لا تدري بحقيقة

الموضوع، وقد كان الدكتور يحضر لدفن اللاجئ بعد أن نشر خبر وفاته بين أصدقائه اللاجئين الآخرين، والذين كانوا يتفاوتون من مهنيين، ومشهورين، ورجال الأعمال، وحتى عمالا بسطاء، وبعد مدة قليلة وبعد ذلك الذهاب لحضور الجنازة، لكن بعد أن قرأ الرسالة تركها المصور بحوزة عشيقته، ولما قرأها وجد أنه يعترف له بكل شيء وحقيقتة، وبعد ذلك أصبح مترددا في ذلك وقرر حضور حفل الدكتور "لاثيديس أوليفيا" بعد أن فاتته صلاة العنصرة.

ثم يعود ليحكي عن شخصية الطبيب وما تحمله من قيم وعادات، في شكل استرجاع حيث أنه كان له نمطا تقليديا بسيطا من العادات ويتبعها منذ سنوات، كما أنه يحظى بمكانة وسمعة لا مثيل لها في المقاطعة، ليعود ليحكي عن بيته وما يحتويه من حيوانات، وبخاصة الببغاء الذي كان يهتم به اهتماما كبيرا لدرجة أنه كان يلقنه دروسا في اللغة الفرنسية، ثم يحكي عن زوجته فرمينا داثا صاحبة الاثنان وسبعون من العمر، والتي كانت قد فقدت مشيتها الغزلانية، وقد استطاع ماركيز سرد ما حدث في يوم كامل في صفحات عديدة، ثم ليتحدث عن ابنه ماركو أوريلنيو أوربينيو داثا.

ثم يعود ليحكي عما جرى في ذلك اليوم بالتفصيل بأن لديه مسؤوليات عديدة في هذا اليوم، وأولها حضور جنازة اللاجئ الانيتلي، وحضور صلاة العنصرة، كما عليه أن يلبي دعوة تلميذه الطبيب اوليفيا لاثيديس، ولكن لسوء الحظ أنه مات الطبيب خوفينال أوربينو إثر تهشم نخاعه الشوكي لدي سقوطه من شجرة المانجا، وهو يحاول الإمساك بالببغاء الذي كان يحبه كما يحب كائنا بشريا .

خامسا: البناء الفني للرواية:

إن ما نلاحظه على الرواية من خلال العلاقة بين العنوان ومحتواه هو أن العنوان متناسق مع محتوى الرواية، لأن قصة الحب التي يعالجها الكاتب في الرواية، تظهر منذ البداية، وذلك من خلال العنوان "الحب" والمعاناة التي عاشها الشعب من جراء انتشار الأمراض والأوبئة، والمتمثلة في داء الكوليرا التي راح ضحيتها مئات المواطنين، إلى جانب ذلك قد يرمز العنوان إلى المعاناة القاسية التي عاشها البطل العاشق في انتصار حبه، وهذا ما يدل على ترابط العنوان مع محتوى الرواية .

كما أن الملاحظ على الرواية بأنها لم تسر وفق النظام التقليدي، أي ترتيب العناصر والأحداث ترتيباً كرونولوجياً، بل نلمس في الرواية تداخل في الأحداث وعدم ترتيبها، ولأنه ليس لأحد أن يفرض على الأديب نقطة البداية، وهو نفس ما يجب علينا فعله، بحيث لا نستطيع أن نفرض على ماركيز نقاط البداية، وذلك لسبب مهم وهو أن ماركيز حاول تقديم الرواية بالطريقة التي يحترم من خلالها عقل القارئ، وقد قدم أفكاره بطريقة منسجمة يرتاح لها العقل، حيث أن القارئ يحس بترباط الأفكار في الرواية، بحيث يقدم الأفكار بصورة منسجمة ومتراصة قد أحسن ترتيبها وعرضها.

وعلى الرغم من أن ماركيز تناول موضوع الحب والحروب الأهلية المتكررة، إلى جانب موضوع داء الكوليرا التي اجتاحت القارة، إلا أن النص لم يخل من الانسجام في طرح الأفكار، رغم أنه يتحدث عن الحب مرة ثم عن الحرب، ليعود للحديث عن الحب من جديد، لينتقل بعد ذلك للحديث عن داء الكوليرا وما نتج عنه من وفيات وأمراض، وقد سمى "بدر عبد الملك" هذه الطريقة « بالدائرية وكأننا في شرنقة الحركة الحلزونية »¹.

مما يعني أن القارئ عند قراءته للرواية يشعر وكأنه في حلقة دائرية، ينطلق من نقطة إلى نقطة أخرى ليعود إلى نقطة الانطلاق من جديد، وتسمى هذه التقنية بتقنية الاسترجاع والاستباق وهو ما سنفصل فيه في ما يلي:

1/ الزمن في الرواية:

أ/ الاسترجاع:

اختلفت تسميات هذه التقنية، شأنها شأن التقنيات السردية الأخرى نظراً لكثرة وتعدد الدراسات التي اختصت بمواضيع السرد ومن هذه التسميات: "الارتداد، الاستذكار، البعيدة الإحياء"، وإن على اختلاف تسميات هذه التقنية إلا أنها تدل على معنى واحد وهو: «العودة إلى الوراء، وهو أسلوب من الأساليب الانزياحية الخاصة بالزمن في النصوص السردية...»

¹ - بدر عبد الملك ، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية " الرواية نموذجاً" ص189

وهو يخص ما قد سبق من أحداث، إذ يترك السرد بموجبه سير الأحداث الطبيعية ويقفز قفزة نوعية نحو الماضي تلفت ذهن القارئ¹.

بمعنى أن السارد يقوم بسرد الأحداث متتالية في البداية، ليعود فيما بعد ليحكى عن أحداث سبقت زمن سرد الروائي للأحداث، وهذا من أجل شد انتباه القارئ أو هي « كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة »².

- نماذج من الرواية حول الاسترجاع :

نلمس من خلال الرواية بأن ماركيز استعمل تقنية الاسترجاع بكثرة ومن نماذجها في الرواية نذكر :

في حديث عن الموت اللاجئ الانتيلي يعود ماركيز للحديث عن الطبيب خوفينال أوربينيو قائلاً : « كان يبقى في مكتبه لتحضير درس الطب العام الذي واطب على إلقائه في مدرسة الطب كل يوم من أيام الأسبوع »³، ويضيف قائلاً : « كان يقوم بجولة منهجية منتظمة، لدرجة أن زوجته كانت تعرف إلى أين تبعث في طلبه، إذا جرى شيئاً مستعجلاً خلال جولته المسائية »⁴، أو في حديث هذا الطبيب عن بغاء أحضرته زوجته يقول : « كانت ببغاء منتوفة ومعتوهة، لا تتكلم حين يطلب منها الكلام...، كانت في البيت منذ أكثر من عشرين سنة ولا يعرف كم سنة عاشت قبل ذلك »⁵، أو في الحديث عن علاقة فيرمينا داثا وفلورينتينو أريثا يقول ماركيز : « في تشرين الأول، ومع الأمطار الأخيرة وصلت ثلاث رسائل أخرى...، والرسالة الثالثة من الرسائل شهر تشرين الأول دست من تحت باب البيت الخارجي »⁶.

¹ - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1

1990م، ص 121

² - جبرار جيننت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة محمد المعتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حبلي. المجلس

الأعلى للثقافة. القاهرة، مصر، ط2. 1997م، ص 51

³ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا ص16

⁴ - المرجع نفسه ص 17

⁵ - المرجع نفسه ص 26

⁶ - المرجع نفسه ص 115

وقد استخدم الكاتب هذه التقنية بكثرة، كما استخدم تقنية أخرى من تقنيات الزمن وهي تقنية الاستباق.

ب/ الاستباق:

هو شكل الثاني من أشكال المفارقة الزمنية، وقد اختلفت تسمياتها فهو يعرف بـ: الاستباق، القابلية، الاستشراف أو التوقع¹. ويعرف هذا الشكل بأنه: «كل حركة سردية تقوم على أن يروي حدثا لاحقا أو يذكرها مقدمة»²، أي أن يقوم السارد بسرد أحداث قبل أو أنها أو تقديم الأحداث بعضها على بعض، من أجل خلخلة النظام الزمني في القصة .

- نماذج من الرواية حول الاستباق:

نجد ماركيز يتحدث عن بطة الرواية فرمينا داثا، وهي في العقد السابع من عمرها وهذا في الفصل الأول من الرواية يقول: «أما فرمينا داثا زوجته (ويقصد الطبيب) والتي كان لها من العمر اثنتان وسبعين سنة، وكانت قد فقدت مشيتها الغزلانية التي كانت لها في زمن مضى»³، فنجد ماركيز يتحدث عن البطلة في الوقت التي أصبحت فيما بعد عجوزا، وهي زوجة الطبيب، وكل هذا في الفصل الأول من الرواية في حين نجده يتحدث عن البطلة، وهي في ريعان شبابها وهي الفترة التي كانت حبيبة فلورينتينو أريثا قبل أن تتعرف على الطبيب) قائلا: «فوضها أبوها السلطات لإدارة البيت...، قائلا لها إني أسلمك مفاتيح البيت»، ويضيف: «تولت المسؤولية بحزم مع إكمالها السابعة عشر عام من العمر»⁴، فبعد أن مثلها ماركيز، وهي عجوز وتحدث عنها وهي في السابعة عشر من عمرها.

وهو الشيء نفسه للطبيب خوفينال أوربينيو فقد تحدث عنه في بداية الرواية، وهو يبلغ من العمر ثمانين سنة يقول: «كان قد احتفل في العام الماضي بعيد ميلاده الثمانين في احتفال رسمي دام ثلاثة أيام...»⁵.

¹ - سيزا قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1985، ص 61

² - جيرار جينت، خطاب الحكاية ص 51

³ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا ص 27

⁴ - المرجع نفسه ص 93

⁵ - المرجع نفسه ص 93

في حين نجده في الفصل الثالث من الرواية يتحدث عن الطبيب وفي فترة شبابه يقول: «كان خوفينال اوربينيو العازب وهو في الثمانية والعشرين... قد عاد من إقامته الطويلة في باريس...»¹، وهو الأمر نفسه بالنسبة لفلورينتينو الذي يظهر في بداية الرواية هرما وعاجزا يقول ماركيز «فلورينتينو أريثا المختفي بين جموع الوجوه والأعيان، لم تكن فرمينا داثا قد ميزته وسط صخب التعزيات الأولى... كان يبدو عليه أنه شيخ هرم خدوم وجدي»².

فهو في هذا النموذج يظهر أنه شيخ عجوز فيما نجده في فصل آخر في سن أصغر بكثير من هذا في حديث ماركيز عن فلورينتينو ووالده يقول: «لقد مات دون ليون الخامس لوايثا عندما كان ابنه في العاشرة من العمر»³.

ورغم كون ماركيز قدم الأحداث في الوقت الذي نلاحظ فيه خلخلة في النظام الزمني، إلا أننا نلاحظ في هذه الرواية الشمولية في الأفكار، حيث تناول الكاتب جميع جوانب الموضوع فيتوسع في أفكاره، وذلك بدافع عاطفي بحيث يتصاعد انفعال الأديب في موضوعه، فمرة نلمس تصاعد الإعجاب ومرة أخرى حبا أو حقدا، وهذا ما سنتناوله بالحديث في عنصر آخر.

2/ المكان في الرواية:

يعد المكان من أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب وتحليل شخصياته النفسية، «فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهمية وجوده»⁴، مما يعني أن الإنسان على صلة دائمة بالمكان الذي يتواجد فيه، بل إن قيمته تبرز وتظهر من خلال تفاعله مع مكانه، حيث تؤكد على ذلك صبحية عودة زعرب أن «الإنسان لا يكتسب أهمية من خلال تفاعله مع المكان الموجود فيه»⁵.

¹ - المرجع السابق ص 99

² - المرجع نفسه ص 51

³ - المرجع نفسه ص 55

⁴ - صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني،جماليات السرد في الخطاب الروائي ص 95

⁵ - المرجع نفسه ص 95

وقد تعاضمت أهمية المكان في الأدب الروائي كونه « يعكس سلوك الفرد ومشاعره وأحاسيسه»¹، بل هو «الذي يحدد طبيعة الشخص وسماتها»²، بمعنى أن المكان هو الذي يحدد شعور الإنسان بالسلب أو بالإيجاب، فقد يثير المكان في نفس الشخص المرح والسعادة وقد يثير الشعور بالاختناق والملل .

أ- مستويات المكان :

للمكان في الرواية المعاصرة مستويات عدة أهمها :

1/المكان المجازي:

يعد هذا المكان « بمثابة مكان تجري فيه الأحداث والمكمل له، وقد سمي بهذا الاسم لأنه افتراضي وليس حقيقي »³، بمعنى أن هذا المكان لا وجود له في الواقع، بل هو من نسج الخيال فقط، وهذا المكان لا يعبر عن المكان الحقيقي الذي نعيش فيه، بل يظل خارج تجربتنا الذاتية .

وفي رواية "الحب في زمن الكوليرا" لا نجد مثل هذا النوع من المكان رغم وجود عناصر خيالية في الرواية ولكن عدم إدراج ماركيز لمثل هذه الأمكنة، يعود إلى عدم رغبته في جعل الأمور في الرواية مجرد فانتازيا خيالية .

2- المكان الهندسي:

يشير هذا المكان إلى أبعاد هندسية بعيدة عن معيشة الإنسان وذاتيته باعتباره «المكان الذي تعرض الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحيادية ...»⁴ ونجد أن ماركيز يستعمل هذا الأمكنة بكثرة، حيث نجده يذكر نوعين من الأمكنة :

أ/ الأماكن المغلقة:

وهي الأماكن المحدودة ومن أمثلتها في الرواية:

¹ - نغله حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني ص 105

² - زياد الزغبى، المكان ودلالته في رواية "العودة إلى الشمال"، أبحاث اليرموك ، ع2، 1994م، ص206

³ - صبحية عود زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب السردي، ص 96

⁴ - غالب هلسا ،المكان في الرواية العربية، واقع وآفاق ،دار ابن رشد، بيروت، لبنان، 1981م ص 220

المنزل : حيث يصف ماركيز منزل الطبيب خوفينال أوربينيو ،كما يصف شركة الكاريبي للملاحة النهرية التي يعمل فيها فلورينتينو اريثا .

السفينة: يصف ماركيز السفينة التي سافر فيها برفقة فرمينا داثا حين يذكر بأنها كبيرة وفيها صالة استقبال كبيرة وغرفة طعام واسعة

ب/ الأماكن المفتوحة:

وهي الأماكن الواسعة وغير المحدودة، ومن أمثلة هذه الأماكن في الرواية نجد :

- بحر الكاريبي : حيث يصف ماركيز طوله وعمقه
- نهر مجدالينا: يصف ماركيز هذا النهر في حديثه عن التطور الذي شاهده كولوجيا وأثره على هذا النهر .

3/ العاطفة:

تعتبر أهم عناصر الأدب، بل هي التي تميز بين عمل وآخر لأن من خلالها يظهر التفاعل بين الأديب وموضوعه، وقد تنوعت العاطفة في الرواية بتنوع مواقف البشرية ونذكر منها على سبيل المثال:

أ/ عاطفة إنسانية نبيلة محبة للخير والعمل الصالح :

نلمس هذه العاطفة في الرواية من خلال قرار الدكتور في تحمل مصاريف دفن صديقه اللاجئ الأنثيلي " جيرميا دي سانت أمور" عندما قال :«إذا لم تجدوا المال فلا تهتموا سأتولى تكاليف الدفن»¹.

ب/ عاطفة فطرية متأصلة في النفس كحنان الأمومة والأبوة وشفقة الأبناء على الوالدين والأرحام :

ونلمس هذه العاطفة من علاقة البطلة "فرمينا داثا" مع عماتها "اسكولاتيكا" ومثالهما من الرواية والذي تبرز من خلالها علاقة المحبة والحنان التي تكنها العممة لابنة أخيها والعكس

¹ - المرجع السابق ص 13

حيث يقول: « كانت العمة ملجأ تفهم وعطف لابنها الوحيد لزواج بلا حب، لقد ربتها منذ وفاة أمها، وبالمقارنة مع "لورينتو داثا" كانت تتصرف كشريكة أكثر منها كعمة»¹.

وكذلك تظهر هذه العاطفة من خلال الحب الذي تكنه أم "فلورينتينو أريثا" لابنها حيث يقول: «...ففتح قلبه لأمه دون تحفظ، وهي الشخص الوحيد الذي كان يبيح لنفسه مفاتحته ببعض الأسرار، انفعلت أمه "ترانسيتو أريثا" حتى الدموع لسذاجة ابنها في شؤون الحب، محاولة توجيهه...»².

ج/ عاطفة اعتزاز ديني أو شخصي:

فتبرز هذه العاطفة من خلال : حديث ماركيز عن الدكتور "خوفينال أوربينو" الذي يهتم كثيرا بأمور ديانته المسيحية بحيث لا يفوت شعائرها ومنها صلاة العنصرة إلا إذا اضطره الأمر يقول: «...أدرك أنه قد تخلف عن صلاة العنصرة...، فقرأ بنفس مضطربة...»³، أي أنه عندما لاحظ أنه تخلف عن الصلاة أحس بنوع من القلق والاضطراب وهو ما يبين تمسكه بدينه واعتزازه به، ويضيف بأنه لم يعتمد ترك صلاته بقوله: «إنها المرة الثالثة التي أتخلف فيها عن قداس الأحد منذ أن بلغت سن الرشد وقد كان هذا في عامي الثمانين»⁴، أما الاعتزاز الشخصي، فيبرز في الرواية من خلال اعتزاز فلورينتينو بشخصيته وشخصية والده « رغم كونه ابنا لامرأة عازبة لأن والده لم يعترف به»⁵

د/ عاطفة إعجاب بالمكارم والبطولات والجمال ونجدها تبرز في النص من خلال :

- الإعجاب بالمكارم والبطولات :

تبرز من خلال حديث ماركيز عن "سيمون بوليفار" الذي أطلق عليه اسم قائد التحرير، «... حيث أرادت الذهاب للتأكد مما قيل لها من أن السرير الذي مات عليه بطل التحرير - ويقصد به "سيمون بوليفار"، وهو محرر أمريكا الجنوبية كان صغيرا جدا كسرير طفل»⁶.

¹ - المرجع السابق، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 48.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

⁴ - المرجع نفسه، ص 14.

⁵ - المرجع نفسه، ص 55.

⁶ - المرجع نفسه، ص 224.

- الإعجاب بالجمال :

ويبرز من خلال إعجاب خوفينال اورينينو وفلورينتينو بجمال فرمينا داثا فيقول الطبيب عنها :«لم تكن هناك أكثر أناقة في النوم، إذ كانت تنام في وضعية راقصة، مسندة أحد ذراعيها على جبهتها»¹.

أو إعجاب فلورينتينو ببعض الفتيات اللاتي تعرف عليهن، حيث يقول: « تذكر أرملة ناتاريث ...، لقد كرس لها تفهما أكثر من أي واحدة سواها لأنها الوحيدة التي كانت تشع حنانا يكفي لإحلالها محل فرمينا »²، فهذه الأرملة أعجبت لما تملكه من حنان وعطف. أما أميركا فيكونيا «إنها تعجبه كما هي ويحبها لما هي عليه بحمى لذة غسقية...»³.

هـ - عاطفة التحدي:

وتبرز من خلال إصرار وتصميم فلورينتينو أريثا على تحقيق هدفه، وهو الزواج من "فيرمينا داثا" ومثابرتة على امتلاكه كما هائلا من المال، وأن يحظى بالمكانة الاجتماعية التي تؤهله على الزواج من المرأة التي أحبها، فقد « كان على فلورينتينو أريثا أن يترك مقاعد الدراسة، ويعمل كمتمرن في وكالة البريد، حيث كانوا يكلفونه بفتح الأكياس وترتيب الرسائل ليتابع فلورينتينو أريثا العزف السماعي كمحترف...»⁴، وبعد مراحل عديدة من العمل « وبإجماع المساهمين عين فلورينتينو أريثا رئيسا لمجلس الإدارة، ومديرا عاما للشركة ...»⁵.

وقبل ذلك تظهر العاطفة من خلال إصرار فلورينتينو أريثا للوصول إلى حبيبته وإخبارها بحبه لها من خلال قول ماركيز: « وهكذا فكر بأن يبعث لها رسالة مكتوبة على ورقة بخطه الرائع كخطاط...، مفكرا بطريقة لتسليمها الرسالة...، وفي بحثه عن وسيلة لإيصال الرسالة حاول التعرف على بعض تلاميذ المدرسة ...»⁶.

¹ - المرجع السابق، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 239.

³ - المرجع نفسه، ص 242.

⁴ - المرجع نفسه، ص 55.

⁵ - المرجع نفسه، ص 238.

⁶ - المرجع نفسه، ص 58.

و- عاطفة الإشفاق على البائسين والمعذبين :

وتبرز هذه العاطفة من خلال إشفاق ماركيز على الناس الذين ماتوا بسبب المرض أو الذين راحوا ضحية الحروب الأهلية، كما تظهر من خلال إحساس فلورنطينو عندما سمع نبأ وفاة الطبيب خوفينال أوربينو، رغم كون هذا الخبر يفسح له المجال للوصول إلى حبيبته، فبعد وفاة الطبيب جاء فلورنطينو أريثا¹ و« كان أحد القلائل الذين وصلوا لحين الانتهاء من الدفن»²

أما عن حديثه عن داء الكوليرا «...فوباء الكوليرا الذي سقط أول ضحاياه في مستنقعات التسوق تسبب خلال أحد عشر أسبوعاً بأعلى نسبة وفيات في تاريخنا، ولم يمضي وقت طويل ، فقبل أن يمر العام طلب منه تلميز في مستشفى الرحمة أن يساعدكم بشأن مريض إحسان تغطي كل أنحاء جسده بقع زرقاء غريبة وكانت رؤية الدكتور خوفينال أوربينو للمريض من باب كافية ليتعرف على العدوى، لكن الحظ حالهم فالمريض وصل منذ ثلاثة أيام على متن سفينة قادمة من كوريا، وقد حصر بنفسه العيادات الخارجية في المستشفى...، وعلى أي حال حذر خوفينال أوربينو زملاءه وتمكن من جعل السلطة تنقل الإنذار إلى الموانئ المجاورة...»³.

كما نلمس إشفاق فلورنطينو أريثا وحزنه عند وفاة اللاجئ اللاتيني " جيرميا دي سانت أمور"، مما جعله يحس بواجبه تجاهه لحضور جنازته: « لكن قرع النواقيس ذكر فلورنطينو بوعده في حضور جنازة "جيرميا دي سانت أمور" فارتدى ملابسه بأسرع مما كان يفعل في العادة...»⁴.

ز- عاطفة الاعتزاز الوطني:

وتبرز هذه العاطفة من خلال حديث الكاتب عن اعتزاز "خوفينال أوربينو" بوطنه ومدينته أما في ما يخص أصدقائه « ... ولكن هذا جعل أكثر أصدقائه مجاملة يضيقون ذرعاً

¹ - المرجع السابق ص 53

² - المرجع نفسه ص 52

³ - المرجع نفسه ص ص 104-107

⁴ - المرجع نفسه ص 244

بأحلامه الخيالية، فهم يقضون حياتهم متغنين بأصلهم المجيد وبمزايا المدينة التاريخية وقيمها وآثارها الدينية وبطولاتها وجمالها ¹.

أما الدكتور "أورينو" في حديثه عن دولته «... الذي كان يكن لها حبا عظيما يجعلها يراه بعين الحقيقة فكان يقول كم هي نبيلة هذه المدينة» ².

ح- عاطفة الأسف والحزن:

وتتجلى من خلال حزن "فيرمينا داثا" عندما قام والدها بطرد العمدة "أسكولانتیکا" من المنزل، « ولقناعته أن علاقة على هذا القدر من الصعوبات لا يمكن فهمه إلا بتستر شقيقته، فإنه لا يسمح لهذا حتى بالإعتذار، وإنما إجبارها على الإبحار دون استئناف في مركب إلى "سان خوان دي لاتيناغا"، لم تسترح فيرمينا إلى الأبد من عذاب ذكرها الأخيرة في مساء ذلك اليوم الذي ودعتها فيها عند البوابة وهي تتقدم بالحمى مسوحها البني » ³.

ط- عاطفة السخط والغضب والاحتقار والكراهية :

وتتجلى من خلال سخط فيرمينا وغضبها من والدها بسبب طردها للعمدة أسكولانتیکا وكونه السبب في فراقها عن حبيبها « لم ينتبأ "لورينتو داثا" بالشراسة التي سترد بها ابنته على العقاب الظالم الذي راحت ضحيته العمدة "اسكولا تیکا"، لقد حبست نفسها مقفلة الباب بالرتاج في غرفة النوم دون أي طعام أو شراب، لكنه عندما تمكن من جعلها تفتح الباب بالتهديد أولا، ثم بالتوسلات المنافقة، وجد نفسه أمام لبوة جريح لن تعود ابنة خمس عشر سنة إلى الأبد » ⁴.

ويضيف ماركيز معبرا عن غضبها وسخطها الشديدين من والدها الظالم: «حاول إغراءها بكل أنواع التملق حاول إفهامه أن الحب في سنها ما هو إلا سراب، وحاول إقناعها أن تعيد الرسائل ... لكنه كان كميت يحدث ميتا » ⁵

¹ - المرجع السابق ص 104

² - المرجع نفسه ص 104

³ - المرجع نفسه ص 77

⁴ - المرجع نفسه ص 78

⁵ - المرجع نفسه ص 78

وفي الأخير نلاحظ أن النص يتوفر على أكثر من عاطفة، وهذا وأن دل على شيء فإنه يدل على العاطفة الجياشة للكاتب، وصدقه فيها ودليل على قوة العاطفة عنده بدليل أنها حركت عواطف وأهاجت المشاعر لدى كل من اطلع على الرواية، فهو يجعل القراء يحزن لحدوث أمر محزن، كما يفرح لحدوث شيء كلقاء فلورينتنو وفيرمينا دائما بعد طول انتظار، كما يشعر بالأسى والحزن لما خلفتها الحروب الأهلية من خسائر بشرية.

والى جانب العواطف القوية في الرواية نجد أن النص يتميز بالقوة في الأسلوب، وذلك من خلال عنصر الخيال الذي استعمله ماركيز، وساد كل الرواية، فقد اهتم ماركيز بعناصر الخيال لمعرفته بأن له دور كبير كأثر العاطفة أكثر مما تثيره الحقيقة المجردة، إلى جانب معرفته التامة بأن استمرار العاطفة في كامل النص على درجة كبيرة من الأهمية، لأن العاطفة الحية القوية هي التي تبقى آثارها في نفوس القراء زمنا طويلا، ولا يضمحل عند تكرار قراءة أو سماع النص،

وهذه الرواية هي جنس أدبي مغاير تماما لما يعرف بأدب المناسبات، لأن هذا الأخير يظهر ممتعا إلا وقت المناسبة عكس روايته هذه التي تزداد المتعة في كل قراءة لها، وهذا دليل على صدق عاطفة الكاتب والذي يسميه الدارسون بالصدق الفني، لأن الصدق هو القاعدة الأولى في عملية الكتابة ليضمن انتشار عمله وتقبل القراء له .

4- الأسلوب في الرواية:

يحتل الأسلوب أهمية كبيرة في العمل الأدبي لأنه أداة الكاتب للتعبير، وهو أداة التواصل مع الآخرين، بل هو ميزة الأديب والمبدع وعلاماته التي يعرف بها، فهو في نظر "أحمد الشايب: « صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره على الأشياء وتفسيرها لها وطبيعة انفعالاتها »¹.

مما يعني أنه هو الوسيلة التي توضح للقارئ طريقة تفكير الكاتب، كما توضح انفعالاته ومشاعره، وهو نفس ما ذهب إليه " عزيزة مريدن " حيث أنها ترى أن الأسلوب هو « طريقة

¹ - أحمد الشايب، الأسلوب، مكتب النهضة المصرية القاهرة. مصر ط1966، 6م. ص134

الكاتب في صياغة جملة، واختيار كلماته للتعبير عن فكرته¹، بمعنى أن الكاتب حين يريد إيصال فكرة معينة أكيد أنه يعتمد الكلمة لكن طريقة اختياره للكلمة ذاك هو الأسلوب.

والى جانب هذين التعريفين، نجد العديد من التعريفات لكن الواضح هو أنه بالرغم من اختلاف الأدباء في تعريف الأسلوب، لكننا نلمس اتفاقهم بأنه يعني ما يقوله الكاتب والطريقة التي يعبر بها أي " فن السرد " هذا الأخير الذي « يعتبر من أبرز الوسائل الفنية التي تساهم في نجاح العمل الروائي أو إخفاقه »².

وقد استعمل ماركيز في روايته وسائل فنية وأبرزها هو "فن السرد" وبما أنه هو الذي يساهم في نجاح العمل الروائي أو إخفاقه نجد أن رواية ماركيز هذه لاقت ترحيبا وانتشارا واسعا في كل أنحاء العالم، وقد جاء أسلوب ماركيز مغايرا عما اعتدنا عليه، لكونه ينطلق من الواقع المعاش في بلده وقارته كلها، ويعتبره نقطة انطلاق له، لكن لا يكتفي بالتعبير عن الواقع، فهو يمزج هذا الواقع بعناصر مختلفة كالسحر والخرافة والأسطورة، أي أنه يجمع بين شيئين متناقضين، وفي هذا يقول عبد الله حمادي: «إن أعمال ماركيز تتميز بتداخل حدود الواقع والخيال فتمزج الأسطورة بالحقائق التاريخية والحلم بالواقع وتتجاوز شخصياته آفاق الحياة الإنسانية»³.

ولأن الجمع بين شيئين متناقضين ليس بالأمر اليسير لكي ينال رضي القراء، وهو ما حتم على ماركيز محاولة تقديم عمله، بطريقة مذهلة جدا وهو ما نلمسه أثناء قراءتنا للرواية فهو « يجمع بين ما هو واقعي وطبيعي وما هو سحري وغير قابل للتصديق إلا أنه لا يبالغ في المشاهد السحرية الأسطورية إلى الحد الذي يتحول فيه المشهد إلى مجرد فانتازية صارخة ومفارقة الواقع »⁴.

¹ - عزيزة مريدن، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، سوريا ط 1989م ص 38

² - صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلأوي للنشر والتوزيع عمان. الأردن

ط 1 2006 ص 142

³ - بلينيو ميندوتا ، غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص 99

⁴ - حامد أبو أحمد ، دراسات في الواقعية السحرية ص 155

كما نلاحظ أن من خصائص ماركيز والتي نلمسها في الرواية بأنه « نادرا ما يلجأ إلى عرض المشاهد العنف الجامحة، لأن الأمل دائما يحده »¹.

أي أننا لا نجد أي مشهد قتل أو تعذيب في الرواية فهو بالرغم من أنه يتحدث في هذا العمل الروائي « عن الحروب الأهلية المعروفة في أمريكا اللاتينية أو بعض الدكتاتوريات الطاغية، وحتى الأمراض والأوبئة إلا أننا نلاحظ أنه يتقادى مشاهد الدم والقتل والتعنيف بل إن حديثه عن الحروب الأهلية يأتي بشكل سليم يجعل القارئ يحزن لتلك المشاهد، ولكن لا يصل لدرجة أن يقشعر بدنه من المشهد »². فنجد أن الراوي يتحدث مثلا عن انتشار مرض الكوليرا في أنحاء البلد والتي أودت بحياة الكثيرين إلى ما يحمد عقابه، بل وأن عشرات الناس ملقون على الأرض ميتين بسبب الوباء فيبقى هذا المشهد يشعر القارئ بحزن شديد خاصة، وأنه في الرواية يقر بأن هناك صبيين وجدهما الدكتور أوربينيو ملقون على الأرض وقد ماتوا بسبب الداء .

كما « يستخدم ماركيز تقنية الوصف بشكل موسع وعلى مستويات مختلفة في الأسلوب فتارة يكون الوصف واقعيًا صرفًا كان يصف شخصية ما، وتارة تشعرك اللغة الوصفية بحالة الفوران الموجودة في الواقع »³، ومن أمثلة ذلك من الرواية نذكر :

« بما أنه الشخص الوحيد المخول لإخراجها من المدرسة الداخلية، فقد كان يبحث عنها في سيارة الهيدسون ذات الستة سندات التابعة لشركة الكاريبي الملاحية النهرية، كان ينزع غطاء السيارة القماشي ... هو بقبعته الكئيبة، وهي متفجرة بالضحك، وممسكة بكلبيها بيدها قبعته البحرية التي تشكل جزء من زيها المدرسي »⁴، أو في حديثه عن بيت أميركا فيكونيا وهي احد النساء العربيات اللاتي تعرف عليهن يقول : « ... كانت الحجرة تبدو أشبه بقمرة سفينة، بجدرانها المصنوعة من الألواح الخشبية طلية مرات ومرات فوق طلائها الأول، لم تكن حجرة لون عادية وإنما قمرة على اليايسة »⁵، ويضيف واصفا هذه الغرفة : « كان

¹ - المرجع السابق، ص 18.

² - المرجع نفسه، ص 46.

³ - المرجع نفسه، ص 161.

⁴ - غبريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، ص 242.

⁵ - المرجع نفسه، ص 243.

النوم مستحيلا في الأيام العادية بسبب صراخ عمال شحن السفن وقعقة رافعات الميناء النهري ، وجوار السفن الضخمة في البناء «¹.

إلى جانب تقنية الوصف نجد أن ماركيز يقوم بإعطاء التفاصيل المملة عن شخصيته مثل: «الآنسة "باربارا ليتش" ، دكتوراه في علم اللاهوت، هي لابنها الوحيد المحترم جونتانب. لينتش الراعي البروتستانتي، الزوجي النحيف، الذي ينطلق على بغلته إلى قرى المستنقع الهندية مبشرا بتعاليم أحد الآلهة...، كانت تتحدث بلغة قشتالية جيدة، مع عثرة في النحو يضاعفها تكرارها من طرافتها ، كانت ستم الثامنة والعشرين من العمر في كانون الثاني، وقد طلقت قبل ذلك من راعي آخر هو أحد أتباع أبيها ...»².

والى جانب ذلك نجد ما يلفت انتباه القارئ في الرواية هي اللغة التي كتب بها ماركيز روايته.

5- اللغة:

فنجد أن ماركيز في روايته يعتمد على لغة مباشرة تارة ولغة موحدة تارة أخرى، فاللفظة الموحية استخدمها لكونها تخدم عواطف الكاتب وتعبر عنها، كما اعتمد أيضا على اللغة المباشرة لكونها تؤدي دورا هاما، وهو اتساق وانسجام الأفكار كما تسهل على القارئ فهمها .

كما أن لغة ماركيز في الرواية تتميز بأنها لغة مألوفة ومأنوسة، مما تجعل القارئ يتسنى له قراءتها وفهمها وهو ما يؤدي إلى عدم توقف القارئ عليها، فنلاحظ أن العبارات في الرواية سهلة وواضحة ويظهر الوضوح من خلال طريقة التعبير التي تعطي الفرصة للقارئ مهما مستواه التعليمي فإذا كانت اللغة والعبارات وطريقة التعبير واضحة وسهلة فهي تؤدي بالضرورة إلى الإقبال الشديد للقارئ على العمل الأدبي، و هو ما يشهد به كل العالم فأعماله بلغت درجة كبيرة من الشهرة وسرعة في الانتشار .

كما أن اللغة في الرواية من ناحية طول العبارات وقصرها نجد أن ماركيز يستعمل الطريقتين، فهو مرة يستعمل الجمل والعبارات الطويلة والتي تتناسب مع ميدان تحليل الموقف والشخصيات وكل ما لها من صلة بالعقل، كما نجد استخدامه للعبارات والجمل القصيرة في

¹ - المرجع السابق، ص 243.

² - المرجع نفسه، ص 215.

ميادين التعبير العاطفي كالعاطفة السخرية مثلا والاستهزاء، ومن نموذج استعمال الجمل الطويلة نجد:

في الحديث عن "فلورينتينو أريثا" عندما بلغ سنا متأخرا مما أدى إلى تردي حالته الصحية، بما فيها مشكل أسنانه فيقول ماركيز في هذا: «أما فقدانه أسنانه فلم يكن نتيجة بلوى طبيعية، وإنما نتيجة عن عمل غير متقن قام به طبيب أسنان متحول، رأى أنه لابد من نزع الأسنان إثر التهاب عادي كان الرعب من آلة ثقب الأسنان قد منع فلورينتينو من زيارة طبيب الأسنان ورغم ألم ضرره المستمر»¹.

كما نجد أن ماركيز يعتمد أيضا على الإطناب والذي يعرفه الباحثون على أنه زيادة اللفظ على المعنى، لكن اعتماد ماركيز على الإطناب كان بزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقد كان لذلك غرض وهدف سعي إليه، وهو التأكيد على الأفكار إلى جانب محاولة التأثير في القارئ، فيشعره بالقناعة في الوقت الذي يريد أن يقنعه بفكرة معينة، ويشعره بالتحسر والأسى في المواقف الحزينة ويتحقق الإطناب بطرق مختلفة في الشكل العام، لكن ماركيز حقق ذلك من خلال الإسهاب في الوصف إلى جانب تقديمه لتفاصيل سواء في ما يخص الأحداث أو الشخصيات، وقدرة ماركيز على فعل ذلك بإتقان وحرفية يجعل لأعماله قيمة أدبية كبيرة ولا يحس القارئ من خلال الإطناب بأنه مجرد حشو بغير فائدة ولا داعي.

أما من ناحية استخدام الحروف ونقصد بها حروف الجر وحروف العطف والشرط والاستفهام والاستعجال وغيرها تدل على قدرته وتفنه في استعمالها، مما يدل على أنه أديب متمكن ويثبت ذلك أيضا، وقد جاء استعماله لهذه الحروف لمعرفته التامة على قوته وتأثيرها في أداء المعنى التي يريدها، كما أنها تعمل على شد وربط أجزاء النص الأدبي، كما أنها تساهم في عملية التوصيل بين الأديب والقارئ.

أما من ناحية البلاغة وعلومها من بيان وبديع ومعاني فنجد أن:

ماركيز يستعمل كلا من الأسلوبين الخبري والإنشائي فاستعماله للأسلوب الخبري يعود لكونه يسرد أحداث في الرواية، أما عن استخدامه للأسلوب الإنشائي فهو لمعرفته أنه يساعد

¹ - المرجع السابق ص 234

على التأثير في مشاعر القارئ ولقدرته على ذلك، فيلاحظ القارئ أنه يخلق لديه فضول عندما يطرح سؤال ويتعجب لتعجب الكاتب وغيرها...

إلى جانب استعمال ماركيز للأسلوبين الخبري، والإنشائي، كما نجده يستعمل أيضا الصور البيانية بكثرة، والتي تؤدي بالضرورة إلى تقوية المعنى وإبرازه في التعبير عن عاطفة الكاتب، ومن أمثلة ذلك «ولكثرة ما عرف منهم في غزواته كصياد متوحد، أصبح "فلورينتنو أريثا" يعرف أن الدنيا مليئة بأرامل سعيدة»¹ فهو هنا يقدم صورة بيانية، وهي الكناية، فهو يتحدث عن علاقته العاطفية العابرة التي لا تقدر ولا تحصى، ولقد ساعدته الكناية على التعبير على هذا الكم الهائل من العلاقات فالصورة البيانية هنا إذن هي كناية عن الكثرة، وكذلك قوله: « رأيت كل شيء يتغير حتى مواقع الكواكب في الكون»² وغيرها من الأمثلة.

كما يقدم صورة بيانية أخرى، والتي تتمثل في التشبيه التمثيلي من خلال قوله: « كان معظم المساهمين في الشركة يرون في ذلك الخلاف، كواحد من الخلافات الزوجين حيث كل الجانبين على حق...»³، فهو يشبه الخلاف الذي حصل في الشراكة بواحد من الخلافات التي تطرأ في الحياة الزوجية، أي أنه يشبه الأطراف المتخاصمة في الشراكة بالزوج والزوجة.

كما نجد أن من بين ما يعد طاغيا على أسلوب الكاتب، ولغته هي كثرة النعوت، والتي اعتمدها الشاعر، لكونها تساعد على التوسع في المعنى، كما تساهم في إحداث نغم موسيقي داخل النص، مثل حديثه في بداية الرواية عن "فلورينتنو أريثا" بحيث يصفه قائلا: « كان يبدو عليه أنه شيخ هرم، خدوم، وجدي، جسده عظمي معتدل، بشرته بنية ومرداء، عيناه شريهتان، تطلان من وراء النظارات المستديرة ذات الإطار المعدني الأبيض، له شارب رومنسي طرفاه المديبان مثبتان بمادة مثبتة...، وكان آخر ما تبقى له من الشعر على الصدغين، مسرحا إلى أعلى بمثبت الشعر في وسط رأسه اللامع ...، لقد انفق مالا كثيرا، وحيلة واسعة وتصميما شديدا...»⁴.

¹ - المرجع السابق، ص 281.

² - المرجع نفسه، ص 237 .

³ - المرجع نفسه، ص 51.

⁴ - المرجع نفسه، ص 237.

سادسا: الواقع والسحر في الرواية

لقد مزج ماركيز بين واقعه وبين عناصر خرافية سحرية وأسطورية، فيقول عنه "عبد الله حمادي": « أعمال ماركيز تتميز بتدخل حدود الواقع والخيال، فمزج الأسطورة بالحقائق التاريخية والحلم بالواقع... »¹.

1- نماذج عن مزج الواقع في رواية "الحب في زمن الكوليرا":

أشرنا فيما سبق أن ماركيز ينطلق من الوقع كأرض خصبة له، إلى جانب ذلك يضيف عناصر سحرية أسطورية وأن هذه التقنية لم تنحصر في رواية واحدة أو اثنتين، وإنما تتعدى إلى جميع أعماله الأدبية القصصية والروائية، ولعل رواية "الحب في زمن الكوليرا" هي من أهم هذه الأعمال، أما الواقع فيتجسد في كونه جسد شخصية والده ووالدته في الرواية، بل حتى أنه جسد أيضا علاقتهم منذ تعريفهم على بعضهم إلى أن تزوجا .

فقصة تعرفهم وزواجهم تبدأ منذ أن تعرف والد ماركيز على والدته « وهي "لويس" التي كانت من الفتيات الجميلات في القرية وهي ابنة الكولونيل ماركيز الذي كان من أقدم المحاربين واحد الذين أسهموا في بطولات الحروب الأهلية »².

« أما أبوه فكان يدعى "غابريال اليخيو غارسيا" الذي حل للعمل في مكتب التلغراف كموظف للبرق... »³، وقد « أحب لويس وتقدم لخطبتها ولكن الأسرة عارضة ذلك، إذ لا يمكن أن تتزوج ابنة الكولونيل من عامل التلغراف، ولكي تبعد بين ابنتها وهذا المتقدم الغير كفاء في نظرها أرسلتها مع أمها في رحلة طويلة إلى قرى ومدن أخرى بعيدة عن الشاطئ الكولومبي، لكن هذا لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة لأن في كل قرية أو مدينة هناك مكتب تلغراف وموظفون متوطنون مع زميلهم، يحملون رسائل حبه إلى فتاته »⁴.

¹ - بلينيو ميندوتا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية ص99

² - المرجع نفسه ص32

³ - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية ص265

⁴ - المرجع نفسه، ص 265

ولكن في النهاية « لم تجد الأسرة مفرا من الرضوخ »¹ ، « وذلك بعد إصراره أجبرته العائلة على القبول »²، «فتزوج "غابريال اليخيو" و"لويسة"...»³.

وإن هذه القصة تشبه إلى حد كبير القصة في رواية " الحب في زمن الكوليرا" كما سبق وإن ذكرنا في مضمون الرواية أن بطل الرواية "فلورينتينو أريثا" كان يعمل في مكتب التلغراف وفي يوم من الأيام كلف بأن يأخذ رسالة لشخص ما فوجد الفتاة فرمينا والتي يعتبرها الجميع آية في الجمال ، وقد أعجب بها وحاول الوصول إليها وأبدا إعجابه لها إلى أن حقق ذلك، وقد استمرت محاولاته إلى أن عرض عليها الزواج، لكن لسوء الحظ أن طردت من المدرسة وقد علم والدها بالأمر وسبب طردها والذي كان أن تجسست مديرة المدرسة فوجدتها تكتب رسالة لحبيبها، فلم يعجب الوضع والدها فأخذها في رحلة لمدة طويلة في العديد من القرى ليفرق بينهما، لأنه كان يرى بأنه لا يليق بأن يكون زوجها لابنته.

وعندما عادا بعد مدة ظننا منه أنه قد نسيتهم قام بتزويجها من الطبيب، ولكن في الأخير حتى وإن كان بعد أكثر من نصف قرن التقى بها من جديد بعد وفاة زوجها ففسح له ذلك المجال للتقرب منها والذهاب معها في رحلة على متن سفينة تمتلكها شركته.

كما يتمظهر الواقع في الرواية من خلال حديثه على قضية واقعية أخرى، وأولها قصة الحب بين "فلورينتينو" و"فرمينيا داثا" وما عانوه من جراء هذا الحب كما تحدثت عن الحياة الزوجية الخاصة "بخوفينال أورينييو" و"فرمينيا داثا" وما مر به من أوقات سعيدة وأخرى عصبية .

كما يتحدث عن الحروب الأهلية وذكرها الميرة من خلال قوله الطبيب أورينييو «أكاد أكمل مئة سنة، وقد رأيت كل شيء يتغير بما في ذلك مواقع الكواكب في الكون، ولكني لم أر حتى الآن شيئا يتغير في هذا البلد، فهنا توجد دساتير جديدة وقوانين جديدة وحروب جديدة كل ثلاثة شهور، لكننا مازلنا نعيش في العهد الاستعماري...»⁴، وكذلك حديثه عن المرض والأوبئة ومنها داء الكوليرا، وهذه كلها مواضيع واقعية يمكن أن يكون أي شخص-

¹ - بلينيوميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص32.

² - حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية. ص266.

³ - بلينيوميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية. ص33.

⁴ - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا. ص237.

حتى وإن لم يكن من نفس المدينة أو حتى نفس القارة- قد عانى منها. فكل واحد منا يعيش ويحس بعاطفة الحب بين الأقارب والأهل أو بين الأزواج وغيرها، كما أن العديد من الدول مروا بالحروب ونتائجها كما أن الأمراض منتشرة في كل مكان وإن لم تكن للأمراض نفسها .

2- السحر والخرافة في رواية "الحب في زمن الكوليرا"

أما الجانب السحري والخيالي في الرواية فيتجسد في رحلة "فلورينتينو أريثا" الخيالية في البحر لكشف عن السفينة الغارقة منذ قرون يقول : « كان أن قرر "فلورينتينو أريثا" في هذه الفترة إخبار فيرمينا داثا في رسائله بأنه مشغول في الكشف لها عن السفينة الغارقة والكنز الذي يوجد بداخلها »¹، كما أنه وبعد دخوله في البحر ووصوله إلى السفينة بدأ يصف ما فيها قائلا على لسانه رأى بداخلها أخطبوطا عمره أكثر من ثلاثة قرون ، تخرج ملامسه من فتحات المدفع، وانه قد تضخم كثيرا في صالة الطعام لدرجة أن إخراجها يستوجب تفكيك السفينة ، و روي انه رأى قبطان السفينة بزيه الحربي طاغيا على جانبه في الحوض المائي المتشكل في مقصورة القيادة...»².

وكل هذا على درجة كبيرة من الغرائبية ، وبهذا نجد أن ماركيز ينطلق من واقع المعاش في حقيقة الأمر إلا انه يفعل بإضافة لمسة سحرية ليمزج بين ما هو أسطوري إلى جانب واقعيته وتعتبر هذه الغرائبية جزءا أساسيا من دلالة الواقعية السحرية، التي يعتبر رائدا لها وهو من خلال ما أوردناه من أمور واقعية وأخرى سحرية من خلال رواية "الحب في زمن الكوليرا" هي بمثابة دليل على أن هذا العمل ينتمي فعلا إلى هذا الاتجاه .

¹ - المرجع السابق، ص 86.

² - المرجع نفسه، ص 89.

خاتمة

بعد دراستنا لموضوع المذكرة والذي يدور حول الروائي غابريال غارسيا ماركيز وروايته الحب في زمن الكوليرا نخرج بجملته من النتائج وهي كالآتي:

- ينتمي غابريال غارسيا ماركيز الى دولة كولومبيا الواقعة في قارة أمريكا اللاتينية
- تحتل هذه القارة مساحة كبيرة من العالم وتشمل إحدى وعشرين دولة ذات مساحات متفاوتة.

- اكتشفت هذه القارة في أواخر القرن الخامس عشر من طرف كريستوف كولومبس.
- مهد اكتشاف كولومبس للقارة الطريق وأعطى للغزاة الأوروبيين الذين اندفعوا في أرجاء القارة لاكتشاف معالمها وهو ما يشمل استعمارها واستثمار خيراتها.
- عملت المستعمرات الأوروبية على السيطرة على القارة من خلال نشر اللغات الأوروبية والديانة المسيحية.

- عرفت القارة الى جانب الاستعمار الغاشم الثورات وديكتاتوريات وحروب أهلية مستمرة.
- لم يكن الاستعمار الأوروبي سلبيا إلى حد كبير كونه أعان من ناحية أخرى على نشر اللغة والديانة المسيحية والنهوض بالبلاد وتطورها.

- تعرف القارة الأمريكية اللاتينية بكونها قارة المتناقضات لكونها تعاني من تداخل العصور فهي تضم دولا ومناطق تعيش في ظل ظروف جد متردية في الوقت الذي تضم دولا أخرى تشهد ثورة صناعية متقدمة.

- عرفت القارة من الناحية الأدبية تطورا هائلا حيث تشهد انتشارا واسعا لتوجهات أدبية وعرفت أسماء كثيرة من الكتاب والأدباء.

- تعد الواقعية السحرية من أبرز التوجهات الأدبية التي انتشرت في ساحة أمريكا اللاتينية وقد كان لهذا التوجه العديد من الكتاب.

- يعد المزج بين عنصر الواقع المعاش والسحر والخرافة من أبرز دلالات هذا التوجه.
- ارتبط مصطلح الواقعية السحرية باسم الروائي الكولومبي غابريال غارسيا ماركيز، والذي قدم فيها العدد من المؤلفات الروائية والقصص.

- ولد ماركيز في العقد العشرين من القرن العشرين في أركاتاكا بكولومبيا كان على علاقة وطيدة بعائلته وبخاصة جديه وهما من كان مصدر الهام لكتابة قصصه ورواياته.

- اطلع ماركيز على العديد من المؤلفات والاعمال سواء في قارة أمريكا اللاتينية أو عبر العالم.
- يعد واقع القارة وحكايات جديده اهم العوامل التي دفعته للتأليف في هذا النوع من الكتابات إلى جانب الدور الفاعل الذي لعبته حكايات ألف ليلة وليلة وخرافات كافكا.
- تعد رواية الحب في زمن الكوليرا من أشهر وأهم اعمال ماركيز الروائية وقد ترجمت إلى العديد من لغات العالم.
- تجمع الرواية بين موضوع الحب والحروب الأهلية وداء الكوليرا الذي اجتاح القارة وبين عناصر سحرية وخرافية.
- قدم ماركيز رواية "الحب في زمن الكوليرا" في لمسة خاصة عرفت بها كافة أعماله وهو الجمع بين عناصر واقعية وعناصر سحرية وخرافية لا منطقية وهو ما زاد اعماله رونقا وتشويقا بدليل انتشار الرواية في كل أنحاء العالم.
- في الأخير نرجو أن تكون هذه الدراسة عوناً وذات فائدة للدراسات المقبلة في هذا المجال.

ثَبِّتْ لِلْمَصَادِرِ

وَالْمُرَاجِعِ

ثبت للمصادر والمراجع

أولا-المصادر و المراجع باللغة العربية:

- (1) إياد الهاشمي، تاريخ أوروبا بالحديث، دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان، الأردن. ط1 2010
- (2) أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .مصر ط6. 1966 م
- (3) بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية "الرواية نموذجاً"، دار الكنوز الأدبية، بيروت لبنان ،ط1، 1994 م
- (4) حامد أبو أحمد، دراسات في الواقعية السحرية . (نسخة الكترونية PDF)
- (5) حامد أبو أحمد، قراءات في إسبانيا و أمريكا اللاتينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. ط1 1993م
- (6) حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي، (الفضاء ،الزمن،الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ،ط1، 1990م
- (7) حليفي شعيب، شعرية الرواية الفانتاستيكية. المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة، مصر.ط1. 1997.
- (8) داود سلوم الشخصيات العربية في روايات أمريكا اللاتينية. دار الجيل، بيروت لبنان، ط1. 1415هـ / 1995 م
- (9) داود غطاشة، راضي حسين، قضايا النقد الأدبي، مكتبة الثقافة، عمان. الأردن ط2. 1991م
- (10) سيزا قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1 1985م
- (11) صبحية عودة زعرب، عنان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع. عمان، الأردن ط1 2006
- (12) صلاح فضل ،منهج الواقعية في الابداع الادبي ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- (13) مصر ط1 1978م
- (14) عادل الجوجري، هوجو شافيز (أسد فنزويلا و مرعب أمريكا اللاتينية)، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1 2008م

- 15) عبد الهادي سعدون، ملك صهيون، قصص من أمريكا اللاتينية دار ود للطباعة و النشر والتوزيع. دمشق، سوريا. ط1. 1999م.
- 16) عزيزة مريدن، القصة و الرواية، دار الفكر، دمشق، سوريا ط 1989م.
- 17) عوني عبد الرحمن السبعاني، التاريخ الأمريكي الحديث، (نسخة الكترونية)
- 18) محسن الجاسم الموسوي، الوقوع في دائرة السحر (ألف ليلة وليلة في النقد الأدبي الإنجليزى) الدار الوطنية للتوزيع. بغداد، العراق. دط. 1910 م.
- 19) محمد يوسف نجم، فن القصة. دار الثقافة، بيروت، ط 5، 1966 م.
- 20) ميجان الرويلي، سعد البازغي، (دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين مصطلحا نقديا وأديبا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب بيروت، لبنان، ط1، 2007
- 21) نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد و آليات تشكيله الفني (قراءة نقدية) دار غيداء، للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط1، 2011م

ثانيا/ المصادر والمراجع المترجمة:

- 1) أوخينيو تشانج رودريجث، ثقافة و حضارة أمريكا اللاتينية ،ترجمة:عبد الحميد غلاب و أحمد حشاد.المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط. 1998 م
- ب.راوين،الحضارات الهندية في أمريكا (الازتك،المايا،الانكا) ترجمة يوسف حلب الشام، دار المنارة للدراسات و الترجمة و النشر اللاذقية -سوريا ، دط
- 2) بلينيو ميندوثا، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط1، 1982
- 3) روبرت ،ج الكسندر،أمريكا اللاتينية اليوم ، ترجمة : رمزي يسي، مراجعة محمد محمود الصياد ،مؤسسة سجل العرب القاهرة ،مصر، دط.1965 م
- 4) غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا. ترجمة صالح علماني، دار دانية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان / دمشق سوريا، ط1، 1991،
- 5) غابريال غارسيا ماركيز،الحب وشياطين أخرى ، ترجمة وليد صالح . دار الشروق ، مدريد، دط أكتوبر 1999م
- 6) غابريال غارسيا ماركيز، خريف البطريق ترجمة محمد علي اليوسفي. دار المدى للنشر والتوزيع، ديمشق سورية. ط2. 2005م.

- (7) غابريال غارسيا ماركيز، مائة عام من العزلة، صالح عثمانى (نسخة إلكترونية).
- (8) ج. هالكر فرجسون، ثورات أمريكا اللاتينية، ت. عبد الرؤوف عز الدين، مراجعة فتح الله الخطيب، الدار المصرية للتأليف و الترجمة pdf (نسخة الكترونية)
- (9) سيزار فرنانديث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية، قضايا و مشكلات القسم الأول، ترجمة إحسان عبد الواحد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت د ط، 1987

ثالثا/ الرسائل الجامعية:

- (1) سميرة بن جامع، العجائبي في المخيال السردى في ألف ليلة وليلة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربى، تخصص أدب قديم، إشراف صالح لمباركية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010/2009.
- (2) علاوي الخامسة، العجائية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان "نموذجا" رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربى، إشراف عبد الله حمادى، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1999.
- (3) مهيبة بلفضل، الواقعية السحرية في رواية "مائة عام من العزلة" لغابريال غارسيا ماركيز، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربى، تخصص آداب اجنبية وادب مقارن، اشراف يوسف الأطرش، جامعة عباس لغرور خنشلة، 2014/2013.
- (4) ميلود العطري، السياسة الخارجية الامريكية تجاه أمريكا اللاتينية في فترة ما بعد الحرب الباردة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008/2007.
- (5) وردة مناصرية، الواقعية في رواية "لمن تقرر الاجراس" لأرنست هيمنغواي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربى، تخصص آداب اجنبية وادي مقارن، اشراف إلهام شادر، جامعة عباس لغرور خنشلة، 2014/2013.

رابعا/ الملاحق والمجلات:

- (1) الشريف عبد الواحد، أثر الف ليلة وليلة في أدب فولتير القصصي، مجلة الموقف الأدبي العدد 186 اتحاد الكتاب، دمشق/سوريا 2006 ص 12

- (2) باسم عبدو، الواقعية السحرية، كشف ما هو سري في الأشياء وفي الحياة، ملحق ثقافي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق سوريا، 2011.
- (3) حسام جميل الناييف، الإدارة الاسبانية في أمريكا اللاتينية (1492 ، 1825) المجلد (30)، مجلة جامعة دمشق سوريا، (1 + 2) 2014.
- (4) سيزار سيجر، استدارة الزمن عند ماركيز، ترجمة اعتدال عثمان، مجلة فصول (مجلة النقد الأدبي) الهيئة المصرية العامة للكتاب العدد (03)، مكتبة ودار النشر أبو الهول.
- (5) زياد الزغبى، المكان ودلالاته في رواية "العودة الى الشمال"، أبحاث اليرموك ع2، 1994.
- (6) صلاح عبدي، الواقعية السحرية في أعمال إبراهيم الكوني، رواية الورم نموذجاً، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، العدد 19(4)، بيروت 1433هـ، 2013 م

خامسا/ الموسوعات والمعاجم:

- (1) بهيج حليس، العالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، موسوعة أحداث القرن العشرين، دار نابلس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2014.
- (2) فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1986.
- (3) مورييس حنا، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب، جروس برس للنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، دط، 1996.

فہرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة
	المدخل: بيئة أمريكا اللاتينية
6	أولاً: البيئة الجغرافية لأمريكا اللاتينية
6	1-الموقع الجغرافي
7	ثانياً: البيئة التاريخية والسياسية لأمريكا اللاتينية
8	1- ماهية ودلالات التسمية
12	2- تاريخ أمريكا اللاتينية
14	3- تاريخ كولومبيا
16	ثالثاً: البيئة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية
19	رابعاً : البيئة الأدبية لأمريكا اللاتينية
19	1/أعلام القارة والتوجهات السائدة
20	أ- أعلام القارة
26	ب- أهم التوجهات السائدة
26	1/ الواقعية الاجتماعية
26	2/ الواقعية النفسية
26	3/ الواقعية البنائية
27	4/ الواقعية السحرية
28	أ- تعريف الواقعية السحرية
31	ب- نشأة الواقعية السحرية
33	ج- خصائص الواقعية السحرية
34	د- رواد الواقعية السحرية
35	1/ أليخو كاربينتيير ALEGO CARPENTIER
36	2/ خورخي لويس بورخيس JORGE LUIS BORGEZ
36	3/ ميغيل أنخل استورياس .A. MINGUEL ANGEL

37	4/ خوليو كورتازار JULIO CARTAZAR
37	5/ خوان رولفو
	الفصل الأول: غابريال غارسيا ماركيز
41	أولا/ نبذة عن حياة ماركيز
41	1/ مولده ونشأته
42	2/ سيرة حياته
46	3- وفاته
47	4- علاقته بعائلته
47	أ - علاقته بجده
48	ب - علاقته بجده
50	ج- علاقته بأمه
51	د- علاقته بوالده
52	هـ-علاقته بزوجته
53	ثانيا/ بداية حياة ماركيز الأدبية
55	1- أعمال ماركيز
58	أ/ مائة عام من العزلة عام 1967 م
58	ب/ خريف البطريق عام 1976م
59	ج/ قصة موت معلنه عام 1981 م
59	د/ الجنرال في متهاته عام 1989 م
60	هـ/ قصص نادرة
61	2- جوائزه
62	ثالثا: المصادر التي اغترف منها ماركيز
70	رابعا: آراء النقاد حول ماركيز وكتابات
71	خامسا: قيمة ماركيز وشهرته
73	1- دور غارسيا ماركيز في تطور الأدب في أمريكا اللاتينية
74	سادسا: علاقة ماركيز في رواياته بالواقع

78	1- نماذج عن مزج ماركيز بين الواقع والسحر والأسطورة
	الفصل الثاني: رواية "الحب في زمن الكوليرا"
81	أولاً: دراسة البنية الشكلية للرواية
81	1- حجم وشكل الرواية
82	2- غلاف الرواية
85	3- عتبة العنوان
86	ثانياً: دراسة الرواية من الناحية الموضوعية
86	1- مضمون الرواية
89	ثالثاً: الشخصيات في الرواية
90	1- رسم الشخصيات
90	أ/ الطريقة الغير مباشرة
91	ب/ الطريقة المباشرة
91	2- أقسام الشخصيات
91	أ- الشخصية النامية
92	ب- الشخصيات الثابتة
92	3_الشخصيات والأحداث
93	أ/الشخصيات الرئيسية
93	ب- الشخصيات الثانوية
96	رابعاً: الأحداث في الرواية
97	خامساً: البناء الفني للرواية
98	1/الزمن في الرواية
98	أ/ الاسترجاع
100	ب/ الاستباق
101	2/ المكان في الرواية
102	أ- مستويات المكان
102	1/المكان المجازي

102	2- المكان الهندسي
103	أ/ الأماكن المغلقة
103	ب/ الأماكن المفتوحة
103	3/ العاطفة
108	4- الأسلوب في الرواية
111	5- اللغة
114	سادسا: الواقع والسحر في الرواية
114	1- نماذج عن الواقع في رواية "الحب في زمن الكوليرا"
116	2- السحر والخرافة في رواية "الحب في زمن الكوليرا"
118	خاتمة
121	ثبت للمصادر والمراجع
	ملخص